جامعة قاصدي مرباح . ورقلة .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات ماستر أكاديمي

الميدان: العلوم الإجتماعية

الشعبة: فلسفة

التخصص: تاريخ الفلسفة

بعنوان:

نظرية الإنسان عند محمد إقبال

من إعداد الطالبتين

اللان نجاج

سعدالله وداد

تحت إشراف الأشتاذ:

بن غزاله محمد الصديق

نوقشت وأجيزت علنا

بتاريخ2016/05/23

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الأستاذ(ة) لعموري شهيدة /أستاذ محاضر(أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ رئيسة

الأستاذ(ة) بن قويدر عاشور/أستاذ محاضر (أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ مناقشا

الأستاذ(ة) بن غزاله محمد الصديق/أستاذ محاضر (أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ مشرفا

السنة الجامعية:2016/2015

جامعة قاصدي مرباح . ورقلة .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات ماستر أكاديمي

الميدان: العلوم الإجتماعية

الشعبة: فلسفة

التخصص: تاريخ الفلسفة

بعنوان:

نظرية الإنسان عند محمد إقبال

من إعداد الطالبتين

اللان نجاج

سعدالله وداد

تحت إشراف الأشتاذ:

بن غزاله محمد الصديق

نوقشت وأجيزت علنا

بتاريخ2016/05/23

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الأستاذ(ة) لعموري شهيدة /أستاذ محاضر(أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ رئيسة

الأستاذ(ة) بن قويدر عاشور/أستاذ محاضر (أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ مناقشا

الأستاذ(ة) بن غزاله محمد الصديق/أستاذ محاضر (أ) جامعة قاصدي مرباح ورقلة/ مشرفا

السنة الجامعية:2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله أولا، على ما هدانا إليه من طلب العلم، وأنار لنا درب العلوم المعرفة، ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

كما نتوجه ثانيا، بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من أضاءت شمعة دربنا إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما، وكل من أسهم في هذا البحث من قريب أو بعيد سواء ماديا أو معنويا، كما نحص بالذكر الأستاذ المشرف بن غزاله محمد الصديق الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته التي كانت سببا في إتمام هذا البحث

كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث، كما نخص بالذكر أساتذتنا وزملائنا وكل من له الحق علينا على تحملهم لنا وصبرهم علينا، والذين لم يبخلوا بآرائهم ومساعدتهم

وفي الأخير نرجو من الله العلي القدير أن يجعل عملنا هذا نفعا ليستفيد جميع الطلبة المتربصين والمقبلين على التخرج

مقدمة

مقدمة

لقد كان للظروف العصيبة التي آل إليها واقع الأمة الإسلامية من ضعف في العزيمة وشتات...الأثر البالغ في دفع حركات الإصلاح بحثا عن أنجع السبل التي من شأنها أن تعيد للأمة قوتها وتماسكها وتقدمها دون الإخلال بشرائع دينها الحنيف.

ومن مفكري الإسلام في العصر الحديث أمثال" جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" وغيرهما ممن سعوا إلى النهوض بالأمة وكان الشاعر والفيلسوف الإسلامي "محمد إقبال" (1877 . 1938) واحدًا من أولئك المفكرين الذين سعوا إلى تحقيق الهدف ذاته،وعمل من أجل تجديد التفكير الديني في الإسلام.

وللنهوض بالأمة الإسلامية،تبين لإقبال أن كل ما حققه الإنسان في الماضي،وما يحققه الغرب في الحاضر،إنما يعود إلى الإنسان ذاته وليس لشيء خارج عنه ومن هنا جاءت دعوة "محمد إقبال" إلى الذاتية،على أن البداية يجب أن تكون من الإنسان (من الذات)لأن الذات القوية بمستطاعها أن تجعل من الحبة جبلا.

للخروج من الوضع المزري للأمة الإسلامية، جاء مشروع "محمد إقبال" التربوي مشروعًا مركزًا على بناء الذات،ومرشدًا وموضحًا لما ينبغي أن تبنى عليه قوة الذات الإنسانية.

وعلى هذا الأساس تبين لنا أن نبحث في موضوع:(نظرية الإنسان عند "محمد إقبال") قصد الوقوف على:مضامين الفكر الفلسفي والتربوي "لمحمد إقبال" وتصوره للإنسان وكذا إحياء الذات وتقويتها.

ومن أسباب ودوافع اختيار موضوع بحثنا (نظرية الإنسان عند "محمد إقبال") أن نحاول من خلاله الإطلاع على أفكار "محمد إقبال "الفلسفية التي نرجعها إلى عوامل ذاتية وموضوعية،فالعوامل الذاتية تتمثل في فضولنا المتزايد من أجل الوقوف على المعاني والمقاصد الحقيقية لفكر "محمد إقبال"،أما العوامل الموضوعية فترجع إلى كون المشروع التربوي "لمحمد إقبال" مشروعًا نهضويًا يعني الأمة الإسلامية جمعاء،ولذلك من الضروري الاهتمام بأفكار "محمد

إقبال" من أجل أن تتضح لدى الأجيال المتعاقبة المكانة الحقيقية والمرموقة التي ينبغي أن نضع فيها هذا الفيلسوف كواحد من أقطاب الفكر الفلسفي في هذا العصر.

أما هدفنا من خلال هذه الدراسة فهو السعي إلى الوقوف على الأبعاد الحقيقية للفكر التربوي عند "محمد إقبال" وكذلك نظرة إقبال للإنسان الكامل بالإضافة إلى إحياء الذات وتقويتها في فكر إقبال.

وتدور مشكلة البحث حول الإشكالية الرئيسية الآتية:ما هو تصور "محمد إقبال" للإنسان؟ ولكي نحدد بالضبط إشكالية بحثنا ارتأينا أن نحصر هذه الإشكالية في التساؤلات التالية:من هو "محمد إقبال"؟ أين يبرز مفهوم الإنسان عنده؟ وفيما تتمثل الذات الإنسانية لديه؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات فقد اقتضت هذه الدراسة إتباع خطة منهجية تقوم على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وقد حرصنا في بناء خطتنا على مراعاة التسلسل المنطقي التالي:

الفصل الأول: ركزنا على الاهتمام بالتعريف "بمحمد إقبال" والعوامل التي كونت شخصيته وطبيعة الظروف التي ميزت عصره،وعلى أهم المصادر التي كان لها التأثير من قريب أومن بعيد في بلورة فكر "محمد إقبال" الفلسفي.

الفصل الثاني: تناولنا فيه الإنسان من منظور "محمد إقبال"،فتطرقنا فيه إلى مفهوم الإنسان عند إقبال ومراحل المساهمة في بلوغ الإنسان نحو الكمال، وأبعاده، وكذلك غايات الإنسان في فلسفة إقبال.

الفصل الثالث: فقد تم تخصيصه للبحث عن الذات فيما يخص مفهومها، وعلاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية بالإضافة إلى مراحل تطور الذات عند "محمد إقبال".

وأخيرًا الخاتمة وهي التي نخلص فيها إلى النتائج المتوصل إليها من خلال البحث وهي بمثابة أجوبة مباشرة لموضوع بحثنا، ومحاولة الإلمام بجميع عناصره.

ولقد اقتضت منا هذه الدراسة اعتماد المنهج التحليلي الوصفي،فاعتمدنا من ناحية الوصف إلى بسط مواقف "محمد إقبال" وعرضها مع الشيء من التبسيط قدر الإمكان، وهذا التبسيط لا يتأتى إلا بواسطة التحليل وكذلك اعتمادنا النقد لأن البحث معتمدا كلا من الوصف،التحليل والنقد وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة الدراسة.

بالرغم من كل هذا لا يعني أن البحث لا يخلو من صعوبات بحيث واجهتنا عدة صعوبات فكرية تمثلت في صعوبة التعامل مع مؤلفات "محمد إقبال" في لغتها الأصلية خاصة وأن جل كتابات الرجل كانت باللغتين؛ الأُردية والفارسية،وكذلك اعتماد "محمد إقبال"الأسلوب الشعري جعل أفكاره غامضة في قالب رمزي يصعب الوقوف على كنهها.

أما عن المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا هي أغلب مصادر إقبال لم نذكرها كلها لكن ركزنا أكثر على مؤلفه الكبير والضخم (تجديد التفكير الديني في الإسلام)، وكان لهذا الكتاب الفضل الكبير في إزالة الغموض في طبيعة فلسفة إقبال وأسسها،أما عن المراجع فقد اعتمدنا على الكاتب "أبو حسن الندوي" الذي ألف عنه عدة كتب من بينها (روائع إقبال) بالإضافة إلى فلاسفة ومفكرين كانوا قد كتبوا على إقبال شخصيا منهم "عبد الوهاب عزام" مع تنوع في طبيعة المراجع ومجالات ومقالات ورسائل جامعية وبالإضافة إلى مراجع أجنبية.

وخاتمان أتمنى أن يفتح بحثنا المتواضع شهية الباحثين الدارسين الطلاب، والغوص في غمار إبداعات المفكر والفيلسوف والشاعر الهندي "محمد إقبال" ويكملوا ما بدأناه متحسسين النقص الموجود بشرح غموض ما أو تصحيح أمر ما أو إتيان بجديد.

الفصـــــــــل الأول

إقبال حياته وعصره

تمهـــــيد

المبحـــــث الأول: حياته ومصادر فكره

1. التعريف بشخصية محمد إقبال
2. عوامل تكوينه
3. مصادر فكره

المبحـــــث الثاني:الأوضاع السياسية والاجتماعية للهند في عصر محمد إقبال

1. الوضع السياسي
2. الوضع الاجتماعي

خلاصة الفصل

تمهيد:

لقد عاشت الأمة الإسلامية فترة عصيبة،تتمثل في الأوضاع المزرية من تخلف وضعف وانحطاط في مختلف المجالات،هذه الأوضاع التي عاشتها الأمة الإسلامية عامة والقارة الهندية خاصة،من الناحية السياسية والاجتماعية في ظل الوضع الراهن الذي يتطلب إعادة بعث روح الوعي من جديد، فجاء أحد زعماء الإصلاح آلا وهو "محمد إقبال" الفيلسوف والشاعر الهندي،بفعل قاعدته التكوينية التي جعلت منه الرجل الأعظم المنير الصالح و المجدد لا يرضى بالوضع التي تعيشه الأمة في عصره، من تصوف سلبي و طغيان وكذلك ابتعادهم عن الاجتهاد، هذا كله كان من الأسباب التي جعلت إقبال يفكر في العديد من المشاريع التي تنهض بمستقبل بلاده، وعليه سنجيب في هذا الفصل على أهم الأسئلة التالية:من هو محمد إقبال؟ وفيما تتمثل أهم العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته؟ وما هي الأوضاع التي سادت الهند في عصره؟.

المبحث الأول: حياته ومصادر فكره

1. التعريف بشخصية محمدإقبال

إن الكلام عن الهند والشرق عموما وخاصة من زاوية الفكر المعاصر وأعلامه تتجه أذهاننا إلى علم من أعلام الهند،آلا وهو شاعر الإسلام المبدع وفيلسوفه ومصلحه الكبير "محمد إقبال"(Mohammed Iqbal)،الذي نهض بأعباء ثقيلة في القترة التي عاش فيها المسلمون انكسارا في شعورهم تجاه عقيدتهم.

ولد "محمد إقبال" في صباح يوم الجمعة 3 ذي القعدة 1294هـ الموافق ل 9 نوفمبر 1877م في مدينة سيالكوت(Sialkot)،إحدى مدن البنجاب Punjab Province[1] .وتعود أصول إقبال إلى أسرة برهمية(Barhamah) كشميرية،أسلمت قبل مائتي سنة ويزيد[2] عرفت باسم سبرو*،ويرى إقبال أن هذه العائلة كانت توصف بالذكاء والمعرفة الكبيرة.[3]

عاش إقبال في أسرة كريمة متدينة إلى حد كبير،لأبوين فاضلين تقيين استطاعا أن يغرسا في إقبال الإيمان وحب الإسلام و عشق النبي صلى الله عليه وسلم. كان والد إقبال "محمد نور" شيخا تقيا ومتصوفا مسلما كان يعمل لدينه ودنياه،حيث أنه كان المربي الأول "لمحمد إقبال"،فأخذ عن أبيه التربية الدينية وكذلك الأخلاق المحمدية، وكان "محمد نور" هو المعلم الأول الذي تخرج على يديه إقبال في مدرسته،مدرسة الإسلام وقد قال "شمس العلماء سيد مير حسن"* صديق "محمد نور" وأستاذ إقبال في حق والد إقبال أنه فيلسوف لم يتخرج في مدرسة.[4]

حيث أن والد إقبال كان يعمل في التجارة لكسب عيشه،إلا أنه كثير المخالطة لرجال الصوفية وأهل العلم والمعرفة،مما جعلته عارفا بدقائق الطريقة وعلوم العقيدة والسنة متأدبا بآداب

---

[1]. أحمد معوض: العلامة إقبال حياته وأثاره،(الهيئة المصرية للكتاب،(د.ط)،1980)،ص 9.

[2]. اليافي عبد الكريم: نداء إقبال ،مقالات لعدد من المؤلفين،(دمشق:دار الفكر عن مؤتمر إقبال بدمشق ،ط1 ،1986)،ص 27.

*هي كلمة سنسكر بنية الأصل تعني السباق إلى العلوم والمعارف وكل ما هو في سباق القراءة والكتابة والمدرسة.

[3]. مجلة دلتا نون :خالد محمد عبده ،محمد إقبال نحو سيرة صوفية ، العدد2،نوفمبر 2014 ،ص 3.

*. ولد في 1942 رئيس وزراء ووزير خارجية أسبق إيراني، شغل منصب رئيس الوزراء طيلة الحرب العراقية الإيرانية، آخر رئيس وزراء إيراني حيث تم إلغاء هذا المنصب بعده، أحد العلماء الذين تأثر بيهم "محمد إقبال".

[4]. أحمد معوض: المرجع نفسه ،ص 21.

الإسلام كافة،حيث أحب الأب أن يرى في ابنه شخصا مرموقا وعلما من أعلام الفكر ورجلا تقيا من رجالات الدين.[1]

وقد تأثر إقبال بأبيه أيما تأثير وقد ردد إقبال هذا الفضل في شعره ونثره وذات يوم سأل العلامة "السيد سليمان الندوي "[*]إقبال عن سر بلاغته التي أكتشف بها أسرار الدين ومعالم الحق وارتقى بها إلى أعلى العليين، فقال إقبال :(يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر ونثر إلى توجيهات أبي رحمه الله فقد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح، وكان يراني والدي فيسألني ماذا أصنع فأجيبه بأني أقرأ القرآن ، وظل على ذلك ثلاثة سنوات متتاليات يسألني فأجيبه جوابي).[2]

وفي ذات صباح قلت بعد إجابتي ولكن لماذا تسألني عن شيء أنت بجوابه عليم فقال: (أنما أردت أن أقول لك ،أقرأ القرآن كأنه نزل عليك ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه،فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت).[3]

وقال إقبال أيضا وهو يمدح والده فقال: (وقع على بابنا سائل وقوع القضاء المبرم. ورقع صوته كأنه نعيب غراب ،واخذ يهز الباب، ولما المني تصايحه وإلحافه خرجت إليه،واهويت على رأسه بضربه بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه،فلما رأى والدي تلك الحادثة أصفر وجهه الأحمر وانحدرت الدموع نهرا على خديه)وقال:

(تذكر بابني جلال الم ـــــــــــــــــــــــ حشر

يوم تجتمع امة خير الب ـــــــــــــــــــــــ شر

وأرجع البصر كرة إلى لحيتي البي ـــــــــــــــــــــــ ضاء

وتحول جسمي المرتعش بين الخوف و الرج ـــــــــــــــــــــــ اء

---

[1]. رائد جبار كاظم: فلسفة الذات في فكر إقبال ،(دمشق، دار نينوى، 2009)، ص 28.

[*]- هو رئيس علماء الهند ولد سنة (1373/1302) من أبرز تلاميذه وخلفاء حكيم الأمة المحمدية، من كبار علماء الشريعة وعلومها ومعارفها وآدابها في القارة الهندية نشأ في أسرة عريقة من أسر السادات هو مؤسس مجلة المعارف.

[2]. المرجع نفسه ،ص 28.

[3] . أبو الحسن علي الحسني الندوي: روائع إقبال ،(دمشق ،دار الفكر ، ط1، 1960)،ص 31.

كن يأبني من البراعم في غصن المصـــــــــطفى

وكن وردة من نسيم ربيـــــــــــــــــــــــــــ عه

وأظفر من خلق محمد صلى الله عليه وسلم بنصيب).[1]

أما والدة إقبال فكانت من السيدات الصالحات،تقية ورعة يملئ قلبها الإيمان والصلاح،وقد رثى "محمد إقبال" والدته في الكثير من قصائده .فكانت له نور يستضئ به وقد تألم لفراقها لأنها سهرت عليه كثيرا وربته وأوصلته إلى درجة عالية من الخلق الرفيع والأدب السامي ،وقد تحسر كثيرا لأنه لم يعوضها عما قدمت له ولو جزءا من هذا الغناء المضني.[2]

(فهو بخطابها قصيدة بعنوان (في ذكرى المرحومة والدتي) بعد رحيلك من ينتظرني في وطني ومن بنشيد به القلق أذا لم يصل خطابي ؟

وعندما آتي إلى تراب مرقدك سوف أصيح:من ذا الذي يذكرني في الدعاء في منتصف الليل (في صلاة التهجد))؟

ولقد كانت حياتك صفحة ذهبية في كتاب الحياة،وكانت درسا متكاملا في الدين والدنيا.[3] ولقد رعتني محبتك طيلة عمري، وعندما أصبحت قادرا على رعايتك رحلتي وبفضل حبك أصبحت كالسرو عاليا،وأصبحت حكيما،وكان حبك رفيقي في جميع مجالات الحياة ،وكانت صورتك مثل يدي ،لكني الآن طفل بلا معين،لا أعرف كيف أصبر وأنوح عليك صبحا ومساءا [4]. وتوفيت والدته وهي ابنة الثمانية والسبعين عاما سنة 1914م، أما عن حياة إقبال الزوجية فقد تزوج ثلاثة مرات وله منهن ولدان وبنت.[5]

حيث نجد أن إقبال تعلم في طفولته على يد أبيه القرآن،ثم أدخل لتعليم القرآن ولا ندرى كم حفظ إقبال من كتاب الله في طفولته وقد علم في كبره القرآن الكريم [6]. كما أنه تعلم في مدرسة

---

[1]. أحمد معوض : المرجع السابق ،ص25 .

[2]. رائد جبار كاظم : المرجع السابق ،ص 39.

[3]. أحمد معوض :ال مرجع نفسه ،ص28 .29 .

[4]. المرجع نفسه ،ص 29.

[5]. المرجع نفسه ،ص91. 92.

[6]. عبد الوهاب عزام: إقبال سيرته وفلسفته وشعره (القاهرة: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة ،(د . ط)، 2012) ،ص 23.

إنجليزية في بلده وهو في سن كبيرة، اجتاز الامتحان الأخير بامتياز وفيها التحق بالكلي ،وهناك تعرف على الأستاذ "سيد مير حسن" وكان فضله كبير في حياة إقبال،وانظم إلى كلية في لاهور وقد نظم إقبال قصيدته الأولى البديعة.[1]

تنوع منتوج إقبال الفكري بين كتب ودواوين وقصائد أشهرها (شكوى وجواب شكوى) وقصيدة النشيد الوطني وله عدة دواوين بالفارسية هي:

1. أسرار خوذي 1915.
2. رموز بيخودي 1918
3. بيام مشرق1923.
4. تحية الغرب
5. زبور عجم .1927
6. وأجاويد نامه .1932
7. مسافر .1934
8. وبس جه بأيد كرد [2]1936
9. أرمغان حجاز نشر بعد وفاته 1938.

وبالأردية نجد لإقبال مجموعة من الدواوين الأخرى وهي:

1. بال جبريل 1935
2. ضرب كليم 1937
3. صلصله الجرس .[3]

[1]. دنيا عبد الحميد: إقبال الفيلسوف الشاعر (القاهرة: (د . د)،(د . ط) ،1959) ،ص5. . 6.

[2]. محمد إقبال: رسالة الخلود، تر: محمد السعيد جمال الدين (القاهرة: مطابع سجل العرب،(د . ط)،1974) ،ص 3.2.

[3]. محمد إقبال: الأعمال الكاملة، تر: سيد عبد الماجد الغوري (بيروت ،دار ابن الكثير، ج1، ط3، 2007)،ص 25.

وله كتبيين نشرهما بالإنجليزية وهما :

1. تطور الفلسفة في إيران 1908

2. تجديد التفكير الديني في الإسلام 1928 ،ويعد من أهم الكتب لدى إقبال.

ونجد أن إقبال قد أصابه الوهن والضعف وهذا بسبب المرض الذي هجم عليه فأفقده قوته الجسدية لا الفكرية ،حيث كان يعاني من ضيق في التنفس (الربو)والتهاب الحنجرة ،وفقد بصره لأصابته الماء الأبيض ،وأصيب في بتكلس الحصاة في إحدى كليتيه.[1]

وكان إقبال على يقين بدلو اجله غير يائس ولا جازع بل كان مرحبا بالموت مبتسما له كان يردد قبل موته ببضعة أيام: أنا لا أخشى الموت ،أنا مسلم ،ومن شان المسلم أن يستقبل الموت مبتسما.[2]

وقال أيضا إقبال قبل وفاته بعشرة دقائق: لبت شعري أهل تعود النعمة التي أرسلها في القضاء،وهل تعود النفحة الحجازية،قد أضلني موتي وحضرتني الوفاة فليت شعري هل حكيم يخلقني؟ وقد ترجم "عبد الوهاب عزام" هذه الكلمات شعرا عن الفارسية و ترجمتها.[3]

(نعمات مضين لي هل تعود؟ أنســـيم من الحجاز يعود ؟
عيشتـــــــي بوشك رحيــل هل لعلم الأسرار قلت جديد ؟).[4]

واشتد على "محمد إقبال" المرض في العشرين من نيسان،وأيقن انه سيودع الحياة من حياة الفناء إلى حياة دار البقاء،فأمر بإحضار ابنه "جاويد إقبال" فأجلسه إلى جانبه وقال من يدري لعلي ضيف لبضع ساعات أو أيام،أوصى بعائلته وأموره الخاصة صديقه جود هري "محمد حسن".[5] (وفي الساعة أذنت الخامسة والربع من صباح يوم الاثنين 20 صفر 1357 هـ الموافق ل 21 نيسان / أفريل 1938م،حيث فاضت روح إقبال إلى بارئها وعلت شفتيه البسمة وكان قد قال :

---

[1]. رائد جبار كاظم : المرجع السابق ،ص 48.

[2]أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص 21.

[3] . عبد الوهاب عزام: المرجع السابق ،ص 43 . 44.

[4]ـ المرجع نفسه ،ص 43.

[5]. عبد القادر محمود: مذاهب وأفكار الفلسفة والفن(الخرطوم: مطبوعات جامعة القاهرة ،ط1 ، 1972) ،ص 377.

أية المؤمن أن يلفى الردى باسم الثغر سرورا ورضي

شاع خبر وفاة "محمد إقبال" بين الناس،فتألم الناس ألما عظيما وزلزلوا زلزلا شديدا واصعقهم نبأ رحيله ،ومنه توجه الناس إلى منزل محمد إقبال ليودعوه إلى مثواه الأخيرة).[1]

2. عوامل تكوينه

ينتمي "محمد إقبال" إلى ثلاثة أحياز روحية هذه الاحياز الثلاثة هي منابع آثاره العظيمة وهي حيز القارة الهندية وحيز العالم الإسلامي وحيز الفكر الغربي،وأن هذا التكوين المتنوع العميق ساهم في بناء شخصية "محمد إقبال" ،ليجعلها عمالقة سماء الفكر الإسلامي الحديث.

2 .1. عامل الأسرة

لاشك أن بناء شخصية الفرد لا بد أن تظهر فيها بصمة البيئة وأقوى بصمات لبيئة هي البيئة القريبة ونقصد بها دور التنشئة الأسرية أو عامل التربية وإقبال مدين لتربية الوالدين كثيرا. لأنه يعتبر نفسه ثمرة توجيه الوالدين فإقبال حين يصف أمه يقول عنها لقد (كانت حياتك صفحة مذهبة في كتاب الكون ، وكانت قدوة الدين والدنيا).[2] ولما فقدها إقبال قال عنها أنه افتقد هاديا مذكرا له في أيامه ولياليه ويقول راثيا إياها:(عندما آتي إلى تراب مرقدك سوف أصيح:من ذا الذي يذكرني بالدعاء في منتصف الليل).[3] أما والده فقد كان تكوينه المشبع بالزهد والتصوف ومعرفة العلوم الشرعية حافزا أن يرى ابنه أحد الشيوخ الكبار قبل أن يغير موقفه تحت نصيحة البعض حتى لا يكون تكوينه فقط تكوينا دينيا كعادة أهل البلاد بل أن يأخذ أيضا بالتعليم العصري وكان الأب صاغيا جيدا لمثل هذه النصائح التي تجلب لابنه نجاحه في المستقبل وفعلا كان تكوين إقبال وتربيته قد ساهمت كثيرا في إبراز عبقرية إقبال بل إن هذه العبقرية قد ظهرت عليه حتى في مرحل الطفولة حيث انتبه إليها الكثير ممن درسوه وقد عرف عن والده من ملازمة للشيوخ والعلماء والمتصوفة فقد كان يرى في والديه المدرسة التي زودته بمبادئ الإسلام الصحيح، فكانت

[1]. رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 49.

[2]. اليافي عبد الكريم: المرجع السابق ،ص12.

[3]. أحمد معوض: المرجع السابق ،ص 23 . 29.

بحق مدرسة ومسجدا قل ما حفلت به أسر المسلمين في الهند، فكانت حياته معها قد ملأت قلبه وفكره بحب الدين وحب الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

ما يؤكد قوله:(إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أصل شرفنا ومصدر فخرنا في هذا العالم).[2] وها هو الشاعر الهندي الكبير"أكبر اله آبادي"في إحدى رسائل التعزية لإقبال يشير إلى ما كان لتربية الوالدين من أثر في شخصية "محمد إقبال" يقول:(إن خصائص إقبال التي تجعله مرغوبا ومحبو لدى الجماهير إنما هي نتيجة التربية التي حصل عليها من والديه فتلك الميزات الخاصة به من عرفان الذات والأقوال الطيبة والذوق الرفيع والمعرفة والصدق والاستغناء والقدرة المستطاعة كلها بفضل تلك التربية العالية الفاضلة).[3]

2. 2. الثقافة الإسلامية(القرآن والسنة)

لقد كان أثر القرآن في حياة محمد إقبال كبيرا،وبه كانت عظمة تفكيره وتأليفه نثرا وشعرا،وعلى مبادئه تأسست تحليلاته واستنتاجاته فهو عندما ينظم الشعر يتخيل إليك أنه يحمل القرآن معه ولم يكن من أولئك الشعراء الذين يسرقون بأشعارهم قلوب الناس بزخرفه وبديع موازينه ولهم مع ذلك رأي إبليس.[4] فكان أثر القرآن الكريم عظيما في بناء شخصية إقبال وصبت فيها روح الإسلام بكل أبعادها الدينية والحضارية وكان خير أنيس له في حياته بل كنزه الوحيد في هذا العالم الذي يفتخر به أمام الملوك يقول "محمد إقبال":(إن الفقير المتمرد على المجتمع يشير إلى نفسه لا يملك إلا كلمتين صغيرتين قد تغلغلتا في أحشائه وملكتا عليه فكره وعقيدته وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله وهناك علماء وفقهاء الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية لكنه قارون لا ينتفع بكنوزه).[5]

---

[1]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص 45.

[2]. المرجع نفسه ،ص45.

[3]. صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي: الإتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال(بومباي ،الهند: دار السلفية (د . ط)،1991) ص60.

[4]. محمد السعيد جمال الدين: الشعر مهمة ووظيفة عند الشاعر محمد إقبال (السعودية: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،(ط . د)، 1405هـ) ،ص 8.

[5]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص45.

لهذا السبب كان إقبال شديد الدفاع عن القرآن الكريم والداعي إلى التمسك به لأعماد بقاء المسلمين وفي ذلك يقول محذرا صدود المسلمين وتركهم القرآن بعيدا عن قلوبهم (إنك أيها المسلم لا تزال أسير المتزعمين للدين،وللمتحكمين للعلم ولا تستمد حكمتك من القرآن رأسا إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة فتقرأ عليك سورة ياسين لتموت بسهولة فوا عجبا قد أصبح القرآن الذي أنزل عليك ليمنحك الحياة والقوة يتلى الآن لتموت براحة وسهولة)[1]،ويرى إقبال أن حياة المسلمين تكون بالقرآن والشريعة الإسلامية يقول:

(المسلمون أحياء بشريعة واحدة

جسد الملة حي بالقرآن الكـــريم

فكلنا تراب وهو القلب المدرك

فدين المصطفى دين الحـــــــياة

فإن كنت أرضا جعلك سمـــــــاء).[2]

إن إيمان إقبال بعظمة القرآن جعله يدعو المسلمين للعودة إليه والعمل به بعدما رأى حالتهم السيئة لا يمكن علاجها إلا به ولا شك أن دعوة إقبال هذه هي التي جعلته في مصاف الشعراء الذين سخروا شعرهم للدفاع عن القرآن الكريم وإبراز لقيمته بالنسبة للمسلم خاصة،وللإنسان عامة.[3]

ويرجع "محمد إقبال" كذلك الفضل في تكوين شخصيته وتماسكه أمام المادة ومغرياته وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبي صلى الله عليه وسلم وحبه العميق له،فقد تشيع بتعاليمه ومدحه في شعره وكان إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان شديد الاعتماد عليه يعتقد أنه هو قوته وميزته ،وذخره وثروته،وأن أعظم مقدار من العلم والعقل،وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات.[4]

---

[1]. المرجع نفسه ،ص51

[2]. أحمد فؤاد عبد الرحمان: (المثالية الإسلامية في شعر محمد إقبال)،مجلة الأمة عدد 33 ، 1404 ،ص14.

[3]. حسن مجيب المصري: إقبال والقرآن (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ،(د . ط) ، 1978) ،ص158.

[4]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص24 . 25.

كان إقبال قوي الإيمان بالإسلام ودعوته شديد الحب والإخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا دين إلا الإسلام ولا نبي غير محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل واهتدت به البشر ،فتَّمسُك بحبه والتعلق به يحصن من عدوى الثقافة الأوربية ويمنع الانصهار فيها ،وهنا ما يزكي قوله:(لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي ،ويغشي بصري ،وذلك لأني اكتحلت ثمد المدينة) .[1] وهذا ما يوضح أن قلب إقبال امتلاء بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عصمه من التأثر بمغريات الحضارة الغربية الساحر رغم استفادته منها بل زادته إيمانا وتعلقا بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.[2]

2. 3. التعليم الغربي:

بدون شك حين نتكلم عن شخصية محمد إقبال نصل حتما أن قاعدتها هي الثقافة الإسلامية بمعناها الواسع وما فكره الديني والفلسفي إلا استلهاما لقيم الإسلام في عمقه الروحي والواقعي أيضا،لكن مع ذلك يعد انفتاح إقبال -بحكم سفره ودراسته- على الثقافة الغربية قد أكسبه عقلا متشبعا بالفكر الفلسفي الغربي وبمناهجه المتعددة وبعد إطلاعه على كنوز الحضارة الغربية ومعرفة الأسس التي بنيت عليها وطبيعة الأفكار التي تسعى لها هذه الحضارة وحقيقة الإنسان الغربي الذي يجسد كل هذا الطموح نجد شخصية إقبال تتمتع بعقل نقدي حيث عرف كيف يستفيد منها رغم قوة الجذب والإغراء إلا أن إقبال تعامل معها بما يفيده وحافظ على هويته وهذا ما جعل "عبد الجبار الرفاعي" محاولته التجديدية بأنها تتميز بكفاءتها النظرية وهندستها التركيبية وغناها بحشد وفير من معطيات العلوم الإنسانية.[3]

فقولنا إن إقبال تأثر بالثقافة الغربية لا نقصد به أنه أخذ منهم مناهجهم وعلومهم وفلسفتهم بقدر ما هو انفتاح فكره على العناصر المكونة لنسيج الحضارة الغربية والوقوف على علامات استفهامية عديدة فكان هذا الاطلاع حافزا على نقدها وبيان فساد عقيدتها وأخلاقياتها في السياسة

[1]. المرجع نفسه ،ص25.

[2]. المرجع نفسه ،ص26.

[3]. المرجع نفسه ،ص95.

والاقتصاد من خلال القوانين الوضعية وهو ما يؤكد قول "محمد إقبال":(إن الملوكية والشيوعية تلتقيان على الشره والنهامة والقلق والسآمة والجهل بالله والخداع للإنسانية).[1]

لذلك (كان إقبال معنيا كثيرا بهجومه على بعض المبادئ التي بنت وأسست الحياة عليها من وجهة النظر الغربية بعبارة أخرى لقد رفض العقلانية المحضة)[2].كما هو في فلسفة "هيجل" يقول إقبال:(إن التجربة بيّنت أن الحقيقة التي يكشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة ،الإيمان القوي الصادق، تلك الجذوة التي يستطيع الدين وحده أن يُشعلها، وهذا هو السبب في أن التفكير المجرد لم يؤثر في الناس إلا قليلا في حين أن الدين استطاع دائما أن ينهض بالأفراد ويبدل الجماعات بقضها وقضيضها وينقلهم من حال إلى حال)[3] لهذا السبب يرى أن السياسة إذا انفصلت عنها القيم الأخلاقية أصبحت طقسا من الطقوس بلا فائدة ، لذا كان أخذه للعلم الغربي فيه الكثير من الحذر يقول إقبال:(إياك وأن تكون آمنا على العلم الذي تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها...إن التعليم هو الحامض الذي يذهب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أي مادة كيميائية،وهو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب) وهو مؤامرة على الدين والأخلاق لأن أهله فقدوا كل أدب وإقبال من القلائل الذين خاضوا هذا البحر وعادوا منه فائزين بدرر كثيرة وتيقنوا من خلود الإسلام يقول مؤكدا ذلك:(كسرت طلسم العصر الحاضر وأبطلت مكره التقطت الحبة وأفلتت من شبكة الصياد،يشهد الله أني كنت في ذلك مقلدا لإبراهيم فقد خضت هذه النار واثقا بنفسي وخرجت منها سليما محتفظا بشخصيتي).[4] كل هذه العوامل المتداخلة مثلت منابع استقى منها إقبال شخصيته الإسلامية المتفتحة على ثقافات العالم دون أن يكون ذلك على حساب مبدأ الأصالة والمعاصرة.

---

[1]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص86.

[2]Edward MaCarthy . IQBAL AS A POET AND PHILOSOPHER,
http://www.allamaiqbal.com/review

[3]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة :عباس محمود (القاهرة :مطبعة لجنة التأليف والنشر، (د . ط) 1968 م) ،ص 15

[4]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص86.

3. مصادر فكره

لقد ارتبط "محمد إقبال" بواقع أمته وتلقى من ضروب الثقافة ما جعله متطلعا على واقع الإنسانية في الشرق وفي الغرب أيضا،هذه الثقافة امتزج فيها بما هو هندي وبما هو إسلامي،وبما هو غربي،ولذلك كان الوقوف على مصادر فكر إقبال الفلسفي تقتضي الرجوع إلى هذه الثقافات الواحدة تلو الأخرى وذلك على النحو التالي:

1.3. الفلسفة الهندية :

حيث نرى إن "محمد إقبال" درس الفلسفة والفكر الهندي دراسة عميقة ولا سيما أثناء عمله لإعداد رسالة الدكتوراه (ما وراء الطبيعة في إيران) فتسنى له الخوض في حقائق الفلسفة الهندية والإلمام بكتب الهند المقدسة كالويدانت والفيدا والاوبانشياد،وقد أفاد إقبال كثيرا من فلاسفة الهند وحكمائها،وكتبها المقدسة التي تعرضت لذكر مسألة الذات الفردية (الإتمان)، والذات المطلقة (برا همن).[1]

ونلاحظ الشبه الكبير بين إقبال وفلاسفة الهند ومفكريها والكتاب المقدس (الأوبانشياد)،ومن ابرز فلاسفة الهند الذين خاضوا في مسألة الذات وطبيعتها نجد شانكارا(788. 820م).* فمن المؤكد إن إقبال قد اطلع على فلسفته وحكمه وأفاد كثيرا وشانكار ا يرى بان وجود الذات ومعرفتها تعد من أمهات المسائل في فلسفته،وهو لا يسمح بالشك في وجودها حتى ولو أعلنا العالم بأسره مجرد فراغ وباطل إذ يفرض هذا الفراغ سلفا وجود مدرك وعارف له وهو الذات.[2]

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بـأن أبرز الذين تركوا اثر في فكر "محمد إقبال" وفلسفته في الذات وفي مس ألة العمل،من مفكري وفلاسفة الهند هم: "بوذا"، "وبها غوات"،

---

[1]. سيد مظفر حسين برني: تأثير الفلسفة والفكر الهنديين في شعر إقبال ،تعريب: فيضان نوري بك،(مجلة ثقافة الهند العدد3،المجلد51 ،2000م) ،ص 38. 45.

*شانكارا(788.820م)فيلسوف وشاعر وباحث في العلوم، كما انه قديس وصوفي ومصلح ديني هندي،يطلق عليه لقب أبو الفلسفة الهندية ولد بناحبة على الشاطئ الغربي لشبه جزيرة (مالا بار)، وينتسب إلى فرع (نامبوري)، ومن ابرز انجازاته الفكرية شرح رسائل الأوبانشياد والتعليق عليهم ،واهتم بدراسة الذات وطبيعتها ،كما بحث في مباحث الفلسفة كافة.

[2]. فؤاد محمد شبل: شانكارا أبو الفلسفة الهندية ،(مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(د . ط)،1975) ،ص 83.

"غيتا"،و"بهارتاري"[1]. وإقبال ش أنه شأن فلاسفة الهند الآخرين الذين اهتموا بالجانب الجواني للإنسان،وهذا ما أكده الباحثون.[2]فالفلسفة الهندية اهتمت بالجانب الجواني للإنسان فجاءت ملازمة للسريانية الباطنية في الكثير من تعاليمها،كما ركزت على مسألة الذات ومحاولة ضبطها ومحاربتها وترويضها لجعلها تنتظم في مستويات تفكيرها.[3]

2.3. التصوف الإسلامي:

انفتاح "محمد إقبال " عن العالم الإسلامي جعلته ينهل من أفكار وإبداعات مفكري الإسلام،ونجد أبرزهم "الحلاج بن منصور"،و"جلال الدين الرومي"،و"عبد الكريم الجيلي"... وغيرهم من الشخصيات الصوفية الإسلامية التي أثرت في فكر "محمد إقبال" وكذلك في بناء فلسفته .

1.2.3.الحسين منصور الحلاج:*(922.857)[4]

يلتقي إقبال بثلاثة أروح من المفكرين الذين اتهموا في دينهم وعدهم معاصروهم من الزنادقة أحد هؤلاء الثلاثة الحلاج،التقى إقبال به في فلك المشتري وقد آثار أسئلة في غاية الأهمية تتعلق بالوجود والعدم ،وبالقدر وبالحقيقة المحمدية وإبليس،وأجابه الحلاج عنها وأتفق إقبال معه في بعضها وأختلف في بعضها الآخر.[5]

---

[1]. سيد مظفر حسين برني: المرجع السابق ،ص 38 . 45.

[2]. عثمان أمين: رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي ،(القاهرة، دار القلم ،(د . ط) ،1961) ،ص 116.

[3]. محمد حسن: تيارات الفلسفة الشرقية،(دمشق: دار علاء الدين ،(د . ط) ، 1999) ،ص 140.

*أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج، متصوف كبير وشاعر عربي من أصل فارسي بالطور بالفارس سنة 244هـ/857م،كان له مقام محمود بين المتصوفة ، وقد أنقسم أصحاب التراجم إلى فريقين بشأن عقيدته وإيمانه، ففريق ذهب إلى القول بإيمانه وإسلامه ،وفريق ذهب إلى القول بزندقته وكفره، وتوفي في بغداد 24ذي القعدة 309هـ الموافق ل 27أذار 922م، وكان مصلوبا على جذع النخل، من أشهر مؤلفاته الطواسين.

[4]. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط3، 2006) ،ص 274.

[5]-محمد إقبال: جاويد نامه، تر: السعيد جمال الدين،(القاهرة: مطابع سجل العرب ،(د . ط) ،1973) ،ص 604.

كما نجد أن إقبال أتفق مع الحلاج فيه قول الحلاج (أنا الحق) ففلسف إقبال هذه العبارة وتبناها ودافع الحلاج في مقولته هذه، ورأى أنها مماثلة لنظريته الذاتية، والحلاج إنما أراد القول إن ذاتي حق لا باطل، ونجد إقبال يشبه نفسه بهذا الولي الشهيد.[1]

"فالحسين بن منصور الحلاج " يعظم الذات الإنسانية ويراها أساس العالم وقد خلق الله هذا الكون ليكون ميدانيا لصراع الذات الإنسانية ،كي تترقى من خلال هذا الصراع إلى مدرج الرقي والذاتية نقطه من النور في نورها نيران كثيرة خفية،وأهل الذات نور ،وخواصها نار ،فبنور الذات يصبح الإنسان خليفة لله في الأرض وبنور الذات يسيطر على الكون.[2]

(ويحذر الحلاج ويقول له أنك تسير مسيري، وتحاول أن تحي موتى هذه الأمة، في حديثك عن الذات وإثباتها ولكن أحذر أن يحيق بك مثل ماثل بي).[3]

وهكذا نرى أن "محمد إقبال" قد تأثر بالحلاج ،ورأى فيه الولي الشهيد الذي أثبت الذات الإنسانية ودافع عن إثبات حقيقتها،كما ترك الحلاج أثرا في إقبال بشأن مسألة العشق،الذي كان لدى إقبال يمثل قوة حيوية خلافة، حيث يدعو الحلاج إقبال إلى التمسك بالرسول صلى الله عليه وسلم. ذلك الإنسان الكامل الذي به استنارت الظلم،وأ خرج الناس من الظلمات إلى النور، ومنه كان موقف إقبال من الحلاج كان موقفا إيجابيا،وكان يراه في مقولته السابقة بأنه مفرط الحب في الذات الإلهية.[4] ومما قاله "محمد إقبال" في أمر الحلاج ومقولته الشهيرة قوله في ديوانه (هدية الحجاز)ما ترجمته:

((أنا الحق) ذي مقام الكبرياء أكان لها الصليب من الجزاء

فهذا جائز في عرف قـــوم ويبطل عند قوم بتالأباء).[5]

---

[1]-كامل مصطفى ألشيبي: الحلاج موضوعا للآداب والفنون العربية والشرقية قديما وحديثا (بغداد : مطبعة المعارف ،ط1 1967) ص 69.67.

[2]. محمد إقبال: ديوان رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 225.

[3]. المصدر نفسه ،ص226.

[4]-لجراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية ،تر: حسين مجيب المصري(مكتبة الأنجلو المصرية ،(د . ط) 1988) ،ص 223.

[5]- محمد إقبال: ديوان هدية الحجاز ،تر: حسين مجيب المصري(مكتبة الأنجلو المصرية ،(د . ط)،1975) ،ص 92.

2.2.3. جلال الدين الرومي* (604هـ .672هـ):

لم يكن "جلال الدين الرومي" متصوفا وفيلسوفا عاديا لدى إقبال،بل كان رائد ومرشده بناء صرح أفكاره،فكان إقبال نعم مريد لنعم المرشد، وأثر الشيخ الرومي واضح وكبير في المريد الهندي،ونرى ذلك في دواوين إقبال المتعددة منها (رسالة الخلود وجناح جبريل رسالة العبودية وغيرها)[1]، وكان لمثنوي "جلال الدين الرومي" الدور الكبير في البناء الفكري والروحي لإقبال ،ذلك المثنوي الذي قال عنه "عبد الرحمن جامي(898 هـ)" أنه القرآن في اللسان الفارسي[2].

حيث دعا إقبال إلى التمسك بالرومي ومثنويه أنه رأى فيه صرخة مدوية ضد العقليين الذين تمسكوا بزمام العقل وأهملت الجانب الروحي،وهذا ما دعا إقبال إلى مواصلة هذه الثورة والتمسك بالجانب الروحي والوجداني من دون إهمال العقل[3].

ويتفق إقبال مع الرومي في المحبة والعشق تدوم الحياة وتسموا الذات وتعلو،وأنه لا يحدث تطورا إلا بهما،وأعترف إقبال بتأثير الرومي فيه إذ يقول في بيت يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب (قد سحر عقلك،الإفرنج، فليس لك دواء إلا لوعة قلب الرومي وحرارة إيمانه، لقد استنار بصري بنوره ووسع صدري بحرا من العلوم)[4] .كما يقول إقبال عن أثر الرومي فيه:

(صيقل الرومي طيني جوهرا من غباري شاد كونا أخرا.)[5]

كما يرى أنه هناك الكثير من المصطلحات المستعملة في تأدية المعنى متقاربة بين الرجلين فمصطلحا (الفقر والعشق) وفكرتا (قوة الذات والخلود).[6] ويقول إقبال:

---

*. جلال الدين محمد متصوف وشاعر وعارف كبير، ولد في بلج 604هـ، وأشتهر بلقبه الذي عرف به مولانا جلال الدين الرومي نسبة إلى بلاد الروم ،إذ قضى الأكبر من حياته ويعد أشهر شعراء الصوفية في إيران، ومن أهم أعماله ديوانه المثنوي والمعنوي وديوان شمس تبريز توفي في 672هـ.

[1]. محمد إقبال: ديوان جناح جبريل، تر: عبد المعين الملوحي (دمشق، دار طلاس، ط1، 1987) ،ص 217.209.

[2]. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1966) ،ص 534.

[3]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص38.

[4]– المرجع نفسه ،ص 39.

[5]. رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 9.

[6]. شريف زيتوني: آراء محمد إقبال الفلسفية والدينية(رسالة ماجستير، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1990. 1991)،ص 63. 64.

(إنني أقرأ من جديد من فيض شيخ الروم كتابا يضمر أسرار العلوم

روحه منعمة بالشعل وأنا ضياء نفس واحد منه كالشرر) [1]

ويمكن القول أن الرومي قد ترك أثر كبير في إقبال بعد القرآن الكريم والسنة النبوية،والرومي هو الذي كان له الفضل الكبير في إرساء وتدعيم وتأكيد القوة الوجدانية التي استقاها إقبال من القرآن الكريم،ولهذا فإن الرومي بعد منبعا هاما من منابع فلسفة الذاتية عند إقبال،وأن أراء إقبال جاءت في أغلب الأحيان إما شارحة لآراء الرومي أو تابعة لها.[2]

3.2.3. عبد الكريم الجيلي*:(1365. 1403م)[3]

حيث يعد هذا الأخير من أبرز المتصوفة الذين أتبعوا مدرسة "ابن عربي"،وقد طور فكرة الإنسان الكامل التي كانت موجودة لدى "الحلاج" و"ابن عربي" والتي تسمى بالحقيقة المحمدية أو النور المحمدي،والتي نرى فيها تشابه كبير في هذه الفكرة بين إقبال والجيلي،وهذا ما ذكر إقبال في رسالته ما وراء الطبيعة في إيران.[4]

ويقول "عبد الكريم الجيلي" في فكرة الإنسان الكامل(إن الحق أذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفة إلهية،فتلك اللطيفة قد تكون ذاتية،وقد تكون صفاتية،فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع عليه يدور أمر الوجود دولة يكون الركوع والسجودوية يحفظ الله العالم،وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم وهو الخليفة).[5] والإنسان الكامل في نظر الجيلي هو الرسول صلى الله عليه وسلم فهو(الإنسان الكامل والباقون من الأنبياء والأولياء هم الكمل صلوات الله عليهم،ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ومنتسبون إليه أنتساب

---

[1]. محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 26.

[2]. أمحمد شيلي: تربية الذات الإنسانية بين النفي والإثبات (المدرسة العليا للأساتذة: قسم الفلسفة، 2009/2008) ص 42.

* – متصوف عربي ولد في بغداد 766هـ/ 1365م من أسرة جيلا نية الأصل، ولذلك يعرف باسم الجيلاني و الكيلاني عاش في اليمن وسافر إلى الهند، وكان من أتباع الطريقة القادرية توفي في 805هـ/ 1403م، ومن أشهر مؤلفاته الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل وغيرها من المؤلفات.

[3] – جورج طرابيشي: المرجع السابق ،ص 266.

[4] – رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 122.

[5] – عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل(الأزهر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ج 1، (د . ط) ، 1963)،ص 44.

الفاضل إلى الأفضل ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل،حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمد صلى الله عليه وسلم تأدبا لمقامه الأعلى ومحلة الأكمل الأسنى).[1] ويصف الجيلي الإنسان الكامل بالحياة والمعرفة والإرادة والقوة و الجمال وغيرها.[2]

ونرى أن إقبال و الجيلي يتفق في أن الإنسان الكامل هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن نتخلق بأخلاقه، حيث يقول تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)[3]

ونرى إقبال في نفسه إنسان عصره كامل،وإنما يرى بأن المسلم الحقيقي الذي يأتمر بأوامر الله تعالى وينتهي عن نواهيه هو ذلك الإنسان الكامل ويقول إقبال عن المسلم الحق:(وأنك أيها المسلم في العالم وحدك،وما عداك سراب خادع ودرهم زائف)،ويقول كذلك: (إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق، وكل ماعدا في هذا العالم المادي وهو طلسم ومجاز)[4].

ويقول إقبال في مسألة الإنسان الكامل،أنه يعارض رأي الصوفية الذين يرون بأن الإنسان الكامل مرآة يتحد فيها الوجود الآلهي بالوجود الدنيوي ولكن إقبال هو ليس من أفتى في ذات الله.

3.3. الفلسفة الغربية:

كما تعد الفلسفة الغربية في فكر "محمد إقبال" مصدرا هاما من مصادر التفكير لديه،كما نرى أنها تمثل ثقافة العصر التي أنفتح عليها فكره،وفيها إطلاع على مختلف فلسفاتها في الحياة، وكان لها دور كبير في تفكير "محمد إقبال" في إعادة بناء التفكير الإسلامي مع مراعاة نتائج التفكير العلمي في أوروبا،وللوقوف على أبرز بصمات الفكر الغربي في فلسفة "محمد إقبال"،يمكننا التطرق إلى ذلك مفصلا بحسب أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين أرتبط بهم "محمد إقبال" أكثر من غيرهم أمثال "فيخته"."نيتشه"."هنري برغسون"....وغيرهم من الفلاسفة الغربيين.

---

[1] – المرجع نفسه ،ص 44.

[2] – رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص122.

[3] – سورة القلم :الآية 4.

[4] – أبو الحسن علي الحسني الندوي: المرجع السابق ،ص 53.

1.3.3. جوهان جويليب فيختهFichte Johann Gottlleb:* (1762.1814م)

يعد فيخته رائد من رواد الفلسفة المثالية الألمانية،وقد وجه اهتمامه إلى دراسة الذات أو الأنا.في عصر كانت تستحق فيه الذات تحت ظل الحروب النابليونية الدموية وشعاراتها الزائفة.[1] بحيث يقول فيخته(لقد حان الوقت لكي تقوم الفلسفة تكون لهذه الأمة بمثابة المرآة التي تبين فيها الذات تبيينا يكشف عن مواضع الضعف فيها، وذلك من أجل أن تصلح من هذه النفس بحيث تعي بعد ذلك نفسها وعيا واضحا وتدرك رسالتها بما تحقق لها أثبات الذات).[2]

ونلاحظ أن فلسفة إقبال شبيهة إلى حد كبير بفلسفة فيخته من حيث تأكيد الذات، فإقبال يقول عنها:

(هيكل الأكوان من آثارها كل ما تبصر من أسرارها)[3]

ونلاحظ أيضا أنه هناك فرق بين فلسفة الذات الفيختية والإقبالية فالذات عند الأولى تقوقعية تعمل وتتحرك داخل ذاتها. [4] أما الثانية وهي الإقبالية فهي انفتاحية،لها طاقات خلاقه ومبدعة،كما نجد أيضا هناك اختلافا في الغاية فغاية فيخته أن يبلغ بالأمة الألمانية إلى أعلى الدرجات،فدعوته تمتاز بنزعتها القومية وهذا كان واضح من خلال خطبه للأمة الألمانية،إذ يقول(إننا الشعب المختار شعب المستقبل،إننا الوعي العالي للإنسانية)[5].

ولكن فلنفترض جدلا أن فيخته لا يقصد ما قصده النازيون،فماذا كان يقصد من كلامه السابق؟[6] أنه يريد للأمة الألمانية السيادة والريادة والسيطرة على العالم،وأنها يجب أن تكون قدوة لمن يقتدي بها لأنها سيدة العالم،وهنا نرى "فيخته" لا يتفق مع نزعة إقبال الإسلامية العالمية الإنسانية القرآنية،إذ أن دعوته لا تعرف حدا للجنس واللون واللغة،أنها تخ اطب جميع البشر وترفض كل الحدود المصطنعة التي وضعها الاستعمار.

---

*. فيخته فيلسوف ألماني بارز،من تلاميذ كانط، ورائد من رواد الفلسفة المثالية الألمانية، ومن أشهر أعماله خطاباته إلى الأمة الألمانية وكتابه مقدمه لنظرية المعرفة ونظرية الأخلاق.

1. رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 124.

2. فوقية حسين محمود: الفيلسوف الألماني الداعية فيخته (الكويت: مجلة العربي153، 1971) ،ص 64.

3. محمد إقبال: ديوان أسرار الذات ونفي الرموز، تر: عبد الوهاب عزام (القاهرة: دار المعارف، (د ـ ط) ، 1956) ص 13.

4 . رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 125.

5. عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية((دب): دار المعارف، (د . ط)، 1967) ،ص 32.

6 . رائد جبار كاظم: المرجع نفسه ،ص 125.

ونرى أن "فيخته" قد أكد على أهمية العمل والكفاح من أجل إحياء الأمة الألمانية فبالعمل وحده تستطيع هذه الأمة أن تبلغ مرحلة السيادة و الريادة،وهذا ما أكده "محمد إقبال" من خلال خطبه فإنه أكد وركز على دور العمل وأهميته في صنع الحياة وكذلك تحقيق الخلود،ولكن شتان بين النظريتين، فنظرة إقبال عامة ونظرة فيخته فقومية خاصة.[1]

2.3.3. فردريك نيتشه*Nietzche Friedrich Wllgelm:(1900.1844)

يعتبر إقبال من أهم الباحثون والدارسون لفلسفة "نيتشه"، بالمقارنة مع فلسفة نيتشه بحيث يوجد أثر كبيرا ولاسيما في فكرة الإنسان الكامل التي تسمي عند "نيتشه" ب (Luper Man) أي الإنسان الأعلى.[2]بحيث نجد "نيتشه" في الجزء الرابع من كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وفيه يصب اهتمامه في الإنسان الأعلى.[3] وفي موضع آخر من الكتاب يقول إن الإنسان الأعلى لا يظهر إلا بموت الآلة ويحل محل الله على وفق القاعدة الآتية: موت الله + إرادة قوة إثباتيه + قوة فاعلة= الإنسان الأسمى.[4]

كما أن فكرة الإنسان الكامل ليست فكرة حديثة في الفلسفة،وليس نيتشه هو المؤسس الأول لها،بل أنها فكرة قديمة وقد سبق للفلاسفة و المتصوفة الغربيين الخوض في هذه الفكرة ومنهم "الحلاج" وابن "عربي" وغيرهم.

كما أنه يوجد العديد من الاختلافات الجوهرية بين فلسفة إقبال وفلسفة "نيتشه".[5] فقد رفض إقبال أن تكون فلسفته مستقاة من فلسفة "نيتشه"،فالإنسان الأعلى عند "نيتشه" هو نتاج

---

[1]. المرجع نفسه ،ص 126.

*. فردريك نيتشه(1900.1844)فيلسوف وأدبي ألماني كبير، يحي ترتيبه الثالث بعد كانط وهيجل في سلم فلاسفة الألمان، تفكيره كالأدباء، وكتابته كالأنبياء من أسرة من القساوسة، تأثر في فلسفته بثلاثة هم شوبنهاور. وريتشارد . وفا خير، وكتاب لأنج "تاريخ المادية" وقال(بعد هؤلاء لست في حاجة إلى شئ) وأهم مؤلفاته"هكذا تكلم زرادشت". "لما وراء الخير والشر".

[2]. أحمد معوض: المرجع السابق ،ص 390.

[3]. نيتشه فردريك: هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس(بيروت: دار القلم،(د . ط)،(د . ت)) ،ص 266.

[4] . رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص 128.

[5]. أحمد معوض: مرجع نفسه،ص390. 399.

تطور بيولوجي مبني على نظرية دوران في النشوء والارتقاء،بينما الإنسان الكامل عند إقبال هو عكس ذلك،فهو نتاج قوى أخلاقية وروحية تتكامل شخصية بمدى علاقته بالله تعالى.[1]

كما أن فكرة إقبال بالنسبة للإنسان الكامل فيه إسلامية قرآنية بالدرجة الأولى ومستمدة من القرآن الكريم ومن صوفية وحكماء الإسلام،وقد كان "محمد إقبال" من المعترضين على فلسفة "نيتشه" سواء في فكرة الإنسان الأعلى وفي فكرة الأبدي وقد باء "نيتشه" بالفشل كما يقول إقبال (لتأثره بآراء أسلافه من المفكرين أمثال "شوبنهاور" و "دارون" و "لأنج"، وأن الأنا التي ينشدها "نيتشه" فوق متناول الفلسفة وفوق متناول المعرفة).[2]

إن إقبال في مسألة توكيد الذات وفي مثاليته،عن الواقعية الديناميكية [3] وعليه فإن فلسفة الذات عند "محمد إقبال" إنما هي مستمدة من الروح الإسلامية لا غير.وإن بدى هناك شيء من الشبه بين إقبال و "نيتشه"، فلأن هناك عامل مشترك قرب بينهما ألا وهو الثقافة الإسلامية. وبموجب ذلك قوة الذات الإنسانية التي تحدث عنها إقبال ليست إلا. [4] كما يقول "محمد البهي" (...قوة المؤمن في الإسلام أولا).[5]

وعليه أيضا نستطيع القول حتي ولو كان إقبال قد قدم نظرية تظهر متشابهة النظرية نيتشه خاصة في ديوان (أسرار خوذي) فإنها في الحقيقة لا تحمل من إلا المظهر،لأن روحانية إقبال وإسلامه حملاه غلى تطورها لا الوقوف عنها فقد قال إقبال ردا على "دكسن" (دعوتي إلى القوة الروحية لا المادية).[6]

فالتأثر هنا لم يتجاوز سوى استعارة بعض المصطلحات كإرادة القوة والإنسان الأعلى ،لذلك يؤكد إقبال على أنه عرف نظرية الإنسان الكامل قبل ثلاثين سنة ولم يكن عندها سمع باسم "نيتشه".[7]

---

[1]. رائد جبار كاظم: المرجع نفسه ،ص 129.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ، المصدر السابق ،ص 223.

[3] Dr. K. M. Jamil. Nietzsech and Bergson firrst pubished Pakistan1959. preface.P. X1.

[4] – علي حسون: فلسفة إقبال الشاعر الفيلسوف الباكستاني(دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر، ط1، 1986) ص 70.

[5] – محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي(بيروت: دار الفكر ،ط6 ،1973) ،ص480

[6] – عبد الوهاب عزام: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره(بيروت: دار العلمية،ط2، 1972)،ص 126.

[7]. المرجع نفسه ،ص 125. 126.

3.3.3. هنري برغسونBergson Henrl Loui:* (1941.1859)

التقي إقبال بالفيلسوف الفرنسي "برغسون" في باريس سنة 1931،وكان هذا الأخير مريضا لا يستقبل أحدا، ومع هذا فإنه أستثنى إقبال من ذلك عن غيره. [1] وفي ذلك دار حديث بينهما عن الزمان وفلسفته في الإسلام وذكر له إقبال حديثا نبويا شريفا يقول:﴿ لا تسبوا الدهر فغن الدهر هو الله﴾ فندهش "برغسون" لعظمة الفلسفة الإسلامية وكذلك فكره النير.[2]

وحول مسألة الذات بين "برغسون" وإقبال فهما متشابهان،حيث يقول "برغسون" في مسألة الذات (ليس ثمة ريب في أن وجودنا الذاتي هو الوجود الذي نراه أكيدا على أكبر حد والذي نعرفه على أكمل وجه... أننا ندرك أنفسنا إدراكا داخليا عميقا) [3]. أما إقبال فيقول في مسألة الذات(إن مركز الشعور المحدود الذي لا يدرك (الذات) هو حقيقة الكائنات ،فالذات حق لا باطل).[4] ومنه فالذات عند إقبال و "برغسون" تتشابه إلى حد كبير من خلال ما سبق،وهما يؤكدان مركزية الذات وأنها تمثل نقطة الانطلاق لمعرفة الأشياء فلولا وجودها لا ما عرف الموضوع سواء كان مرئيا أو غير مرئيا.

ويرجع "برغسون" إلى أن سبب ابتعادنا عن معرفة ذواتنا هو توجيهنا نحو العالم الخارجي وغفلتنا عن معرفة عالمنا الداخلي أو ذواتنا ،التي تمثل ديمومة خالصة بعيدة عن عالم الطبيعة،وأن معرفة الذات أعسر بكثير من معرفة ال عالم الخارجي،وثمة تشابه آخر بين الفيلسوفين في مسألة المعرفة الوجدانية،ويذهب "برغسون" إلى أنه عن طريق الحدس والشعور نستطيع أن نعرف ذواتنا فشخصيتنا هي الشيء الذي ينبغي أن نعرفه على الوجه الأمثل.[5]

ويرد "محمد إقبال" على الذين يقولون بأنه أستمد هذه المعرفة من "برغسون" ويرى بان نظرية المعرفة الوجدانية إسلامية وقرآنية،فيقول:(ولكي نكفل أدراك الحقيقة إدراكا كاملا ينبغي أن

---

*. هنري برغسون (1941،1859)فيلسوف فرنسي كبير رائد من رواد الفلسفة الحيوية الوجدانية وضع فلسفة للتطور الخالق وكان له أثر ملحو ظ في الدب والفلسفة، وله مؤلفات عدة في المعرفة والأخلاق والدين والميتافيزيقيا، ومن أبرز مؤلفاته(التطور الخالق)،(منبعا الأخلاق والدين)،(الطاقة الروحية)وغيرها.

[1]. رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص130.

[2]. عبد الوهاب عزام: المرجع نفسه ،ص 35.

[3]. هنري برغسون: التطور الخالق، تر: محمد محمود قاسم((د . ب): الهيئة المصرية للكتاب ،(د . ط) ،1981) ،ص 12.

[4]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام(مصر: دار المعارف ،(د . ط) ،1956) ،ص 16.

[5]. رائد جبار كاظم: المرجع السابق ،ص131.

يكمل الإدراك آخر هو ما يصفه القرآن بإدراك (الفؤاد) أو(القلب)) ويقول تعالى في هذا أيضا﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه،وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾.[1] والقلب نوع من علم الباطن أو البداهة.[2]

الفيلسوفان يناديان بفكرة الأخلاق المفتوحة .[3] تلك الأخلاق الإنسانية التي تعبر عن استجابة الفرد لنداء الحياة الصاعدة، ولا يدعوان إلى الأخلاق المغلقة،أي الأخلاق التي يكون الفرد فيها تحت قسر الجماعة.

أما بالنسبة للإنسان الكامل التي يرى إقبال أنها القدوة التي يقتدي بها الناس أجمعين فهو آية الله ويده ولسانه في هذه الأرض، بينما اتخذ "برغسون" فكرة البطل الذي يمثل قوة جذب أمامية للناس،وهذا هو جوهر الأخلاق المفتوحة.[4]

والفرق بين إقبال و "برغسون" أن الأول يرى أن الإنسان الكامل مسلم مؤمن ملتزم بالشريعة المحمدية[5]،أما البطل لدى "برغسون" فهو عنده المتشرب للأخلاق والعقيدة المسيحية.[6]

المبحث الثاني:الوضع السياسي والاجتماعي للهند في عصر محمد إقبال

لقد كانت أوضاع الهند في عصر "محمد إقبال" أوضاعا متأزمة في شتى مجالات الحياة,ولعل من أبرزها المجال السياسي والاجتماعي والثقافي،لقد عرفت الأوضاع السياسية الهندية تدهورًا كبيرًا ،وذلك منذ بدء الغزو الإنجليزي للهند سنة (1705 م)،قبل أن يتم احتلال البلاد في منتصف القرن الثامن عشر،لتبدأ جهود الهنود مع المستعمر قصد تحرير البلاد.

---

[1]. سورة السجدة: الآيتان 7 . 9.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 23.

[3]. هنري برغسون: منبعا الأخلاق و الدين ، تر: سامي ألدروبي وعبد الله الدائم((د . ب)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (د . ط)، 1971) ،ص 40،41.

[4]. رائد جبار كاظم: المرجع نفسه ،ص 132.

[5]. أبو الحسن علي الحسني الندوي: المرجع السابق ،ص 52.

[6]. هنري برغسون: منبعا الأخلاق و الدين ،المرجع السابق ،ص 67.

1الوضع السياسي

وتعتبر ثورة السلطان (تينبو) وانتصاره على جيش الإنجليزي سنة (1773م) أول عمل عسكري منظم في سبيل تحرير شبه القارة الهندية[1] ،قبل أن تندلع ثورة الهند الكبرى سنة (1857م)،والتي توحدت فيها الجهود بين الهندوس والمسلمين ضد المستعمر الإنجليزي. غير أن نتائج هذه الثورة بعد فشلها لم تكن في صالح المسلمين ،الذين اعتبرهم المستعمر العقل المدبر للثورة ،ومن ثم وجه كل اهتمامه من أجل القضاء على المسلمين وتبديد كل طاقاتهم,وقد عمل المستعمر على تقريب الهندوس منه ،وإبعاد المسلمين وعزلهم من الوظائف الحكومية في البلاد ،وهذا أدى إلى تخلفهم في جميع مجالات الحياة ،فقد عاشوا مسلمو الهند أوضاع سيئة فكانوا موردا للانتقام والضغط والتعذيب وأصبح غرباء في بلد هو بلدهم.[2]

هذا الخلاف بين الهندوس والمسلمين أوقف كل اتصال وتعاون أو يكاد باستثناء البعض وهم فئة قليلة ،ولأن المسلمين كأقلية بين الهندوس بدأت تشعر أن هناك خطر أكبر من الاستعمار هو تهميش الأقليات لصالح الأغلبية لذلك كانت خطط"غاندي" * السياسية وخططه في تنظيم الدوائر الانتخابية وحتى وضع دستور للهند كلها كانت متجهة لتحقيق مصالح الهندوس على حساب الأقلية المسلمة،لكن شدة الصراع بين الهندوس والمسلمين أدى بالحكومة البريطانية وفي أواخر 1930م بدأ المؤتمر الأول للمائدة المستديرة وتبعه المؤتمر الثاني في نفس العام دون أن ينتهيا إلى إقرار دستور متفق عليه للهند وكان رفض المسلمين له لأنه لا يضمن حقوق المسلمين،وقد شارك "محمد إقبال" في المائدتين اللتين انتهتا بالفشل في تحقيق أية نتيجة[3] (وبقي الحال على هذا التأجيل والفشل في وضع وثيقة سياسية أو دستور للهند حتى العام 1933 حين تم نشر مقترح للحكومة البريطانية باسم (الورقة البيضاء) لكنها كباقي الاقتراحات رفضت من طرف المسلمين وكان محمد إقبال أشد الرافضين لأنه كان يرى أن الأقلية المسلمة لا يمكنها أن تتعايش

[1]. محمد العربي بوعزيزي: محمد إقبال الديني والفلسفي(بيروت: دار الفكر ،ط1 ،1999) ،ص42.

[2] . محمد عباس العقاد: علي جناح (مصر:سلسلة دار الهلال، (د . ط)، 1952) ،ص28.

* المهاتما غاندي ولد في 1869 داعية وطني وزعيم ديني هندي، ناضل ضد الوجود البريطاني فتعرض للسجن عدة مرات أصبح زعيم الحركة الوطنية منذ 1920 دعا إلى نبذا العنف والتسامح بين الهندوس والمسلمين صاحب ثورة ألاأعنف، اغتيل من طرف متطرف هندوسي عام سنة 1948 وهو نفسه العام الذي توفي فيه.

[3]. صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي: المرجع السابق ،ص42.

سياسيا وضمن وطن واحد مع الأكثرية الهندوسية ،فكان يرى ضرورة تقسيم الهند إلى دولتين كحل لكل الصراعات وهذه الفكرة أي فكرة التقسيم أول ما ظهرت في 29 ديسمبر 1930 م حين ترأس "محمد إقبال" الدورة السنوية (مسلمي كل الهند)أو الجامعة الإسلامية المنعقدة في " أكبر آله أباد" وانتهى الاجتماع إلى انتخابه رئيسا للمؤتمر الإسلامي فكان قائد الأمة الإسلامية).[1]

وهناك ألقى كلمته المشهورة بتقسيم الهند قائلا:(إني أود أن أرى البنجاب ،و اقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوجستان متحدة في دولة واحدة).[2]

(ويبدوا لي أن تكون دولة موحدة مسلمة هندية في الشمال الغربي تحكم نفسها حكما ذاتيا في داخل الإمبراطورية البريطانية أو خارجها هو المصير النهائي للمسلمين في الهند وعلى الأقل للمسلمين القاطنين في شمال غربي البلاد) [3].وفعلا جسد هذه الفكرة بعد أن كان مترددا في قبولها "محمد علي جناح"* وظهرت دولة باكستان فكان "محمد إقبال" الأب الروحي لها لذلك نجد "محمد علي جناح" في الاحتفال السنوي بلاهور المخلد لوفاة إقبال يقول:(لم يكن إقبال مجرد فيلسوف ...،بل جمع في نفسه مثالية الشاعر وواقعية الرجل الذي يسلك المسلك العملي إزاء الأشياء ،فمع أنه شاعر كبير فإنه كان بالقدر نفسه سياسيا عمليا ... لقد كان من بين العدد القليل من الناس الذين بادروا التفكير في إمكانية إقتطاع دولة مسلمة تضم المناطق المسلمة تاريخيا في الشمال الغربي والشمال الشرقي في الهند).[4]

2. الوضع الاجتماعي

لقد طبع الإسلام حضارة الهند عبر تاريخها بحضارته وثقافته جعلت من هذه البلاد على الرغم من تنوع أجناسها ولغاتها وديانتها تظهر كوحدة متناسقة وكحضارة متميزة تفاعلت كل

---

[1]. المرجع نفسه ،ص107.

[2]. المرجع نفسه ،ص108.

[3]. المرجع نفسه ،ص108.

*. محمد علي جناح ولد سنة 1876 وهو مؤسس دولة باكستان وأول رئيس لها سنة 1947، مناضل وسياسي باكستاني ناضل في إطار الرابطة الإسلامية لتحرير شبه القارة الهندية، من الوجود البريطاني، كما ناضل من أجل إقامة دولة مستقلة للمسلمين عن الهند وتوفي في 11 سبتمبر 1948 عن عمر يناهز 72 سنة.

[4] KHAWAJA,abdur rahim the poet of tomorow lahor 1968p 21

مقوماتها لتشكل عبر تاريخها شعبا واحدا فكان الحكم الإسلامي للهند بلا شك هو الذي قاد هذا التحول الجذري للحضارة الهندية لتتعايش مع مبادئ الإسلام السمحة [1].

يعد المجتمع الهندي من أكثر المجتمعات تعقيدًا سواءًا من حيث اللغة أو المعتقد فمن حيث اللغة،نجد هناك ثلاث لغات أساسية هي: اللغة الأردية ،واللغة الفارسية واللغة العربية والتي ازداد إنتشارها في الهند إبان الحكم الإسلامي،حيث كانت هي اللغة الرسمية في المجالس العلمية.كما أن هذه التركيبة اللغوية قد أصبحت أكثر تعقيدًا في ظل الاستعمار الإنجليزي الذي حاول فرض اللغة الإنجليزية كلغة رسمية في المدارس والجامعات والمحافل الرسمية.

ونتيجة لهذا الاختلاف اللغوي والعقائدي،وُجدت اختلافات كثيرة في التفكير والقيم والعادات والتقاليد...أدت في الكثير من الأحيان إلى صراعات كان من نتائجها،تقويض إمكانية تحقيق الوحدة الهندية.وهو الوضع الذي استغله المستعمر في فرض سيطرته على البلاد بإعتماد التفرقة والتمييز بين الهندوس بكل أطيافهم من جهة،والمسلمين من جهة ثانية.ليصبح الشعب الهندي بمثابة مجتمعين متمايزين،مجتمع هندوسي تحت حماية ورعاية إنجليزية ،ومجتمع إسلامي في مواجهة الهندوس والإنجليز معًا[2].

ولعل أبرز ما ميز الظروف الإجتماعية للمجتمع الهندي في عصر "محمد إقبال "هي الاختلافات اللغوية والدينية والتي استغلها المستعمر في التفريق بين الهنود وبالتالي إحكام السيطرة على البلاد وهذا قد ولدإرادة قوية في قلوب المسلمين خاصة ،فاندفعوا إلى التفكير في كيفية التخلص من المستعمر كان من أبرز الشخصيات في ذلك إقبال الذي عمل من أجل استقلال المسلمين عن الهندوس.

لقد كان الوضع الثقافي للهند في عصر "محمد إقبال" تعبيرًا صادقًا عن ما يعانيه المجتمع الهندي من تأزم على المستوى السياسي والاجتماعي وذلك بفرض المستعمر للغة الإنجليزية في

[1]. محمد حسن الأعظمي: حقائق عن باكستان (القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، (د .ط) ،(د .ت)) ،ص 38.

[2]. أمحمد شبلي: المرجع السابق ،ص 20.

مختلف المدارس والمعاهد والجامعات وتحفيز الناشئة على تعلمها , وجعلها لغة رسمية للبلاد 10 بدلا من الفارسية والأردية.[1]

ففي ظل هذه الأوضاع أدرك المسلمون ضرورة تمسكهم بمبادئهم وقيمهم وثقافتهم فأقبلوا على فتح المدارس وغيرها بهدف المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية وروابط العلوم الدينيةDinbond بالمعارف العصرية،ففي هذا نجد من أهم المدارس التي أنشئت مدرسة التي أسسها "مولانا محمد قاسم الناتوتوي" سنة (1283هـ/1876)التي اعتبرت بمثابة أزهر الشرق،وكذلك نجد العديد منها المدارس التي أنشأها "السيد أحمد خان" * وهي مدرسة (عليكرة سنة 1875م) تعمل على تشجيع تعليم الإنجليزية الأردية,وغايتها إعادة إدماج المسلمين في الحياة واستفادتهم من نيل الوظائف الحكومية الهندية[2].وما تولد عنها من صراع بين مختلف المخططات الاستعمارية في شبه القارة الهندية وما تولد عنها من صراع بين مختلف الثقافات،وينتج عن ذلك من صراع من حركات دينية وإصلاحية.

[1]. محمد برعزيزي: المرجع السابق ،ص55.

*أحمد خان: يُعد علمًا من أعلام قادة الهند الإسلامية في العصر الحديث , ولد سنة (1817 م) , عمل في الميدان التربوي والسياسي لإنتشال المسلمين من حياة التخلف والإنعزال,وأنشأ كلية عليكرة وله عدد من المؤلفات منها :حياة محمد,تفسير القرآن توفي سنة 1898م

[2]- محمد بوعزيزي: المرجع نفسه ،ص 55.

خلاصة الفصل:

وخلاصة القول نري أن الظروف التي خضع لها "محمد إقبال" سواء على مستوي العالم الإسلامي أو على مستوي المجتمع الهندي،ساهمت بشكل كبير في بلورة شخصيته وطبيعة تفكيره،كما أن شخصية إقبال ربما لم تكن من الممكن أن تكون على هذا القدر من الإبداع والتميز لو لم تأخذ في الحسبان بظروف العصر الذي وجد فيه إقبال نفسه جزء لا يتجزءا منه،وأمام وضع متأزم لا ينبغي لمسلم مستشعر لروح القرآن ومنتسب لخير الأنام أن يقف مكتوف الأيدي إزاءه، كما أنه تأثر بالسنة النبوية تأثره بالقرآن الكريم واتخذ من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى للصوفي الحق غير أن صلة "محمد إقبال" بالعالم الإسلامي لم تكن قائمة على تعلقه بالقرآن والسنة فحسب بل توصلت لتشمل الفكر الإسلامي عبر محطاته الزمانية المتتالية في تأثره ببعض متصوفة الإسلام وكذلك الفلسفة الهندية بالإضافة إلى الفكر الغربي أو الثقافة الغربية ودور كل واحدة منهما في إثراء فكر "محمد إقبال" ،ونصل إلى أن "محمد إقبال" لم ينطلق من الفراغ وإنما هو نتيجة تراكمات ثقافية مختلفة .

الفصـــــــــــل الثاني

الإنسان في تصور محمد إقبال

تمـــــهيد

المـــــــــبحث الأول:الإنسان في نظر محمد إقبال

1. مفهوم الإنسان عند محمد إقبال

2. مراحل المساهمة في بلوغ الإنسان نحو الكمال

ا. الحرية الإنسانية

ب خلود النفس

المبحث الثاني:أبعاد الإنسان وغاياته

1. أبعاد الإنسان

أ. البعد الروحي

ب البعد المادي

2. غايات الأبعاد

خلاصة الفصل

تمهيد

تناول علماء وفلاسفة الإسلام البحث في نشأة الإنسان وماهيته ومصيره تناولا مستفيضا ومن هؤلاء "الكندي" الذي كان يرى أن حقيقة الإنسان هي النفس وكذلك نجد "الفارابي" يجعل الإنسان بين عالم الحس وعالم العقول ويميز في الإنسان بين بدن من عالم الخلق ،كما يذهب "ابن سينا" إلى حقيقة الإنسان غير هذه البنية المحسوسة وذلك عند تفريقه بين النفس والبدن،ونرى كذلك لدى بعض الصوفية أمثال "ابن عربي" الذي يتصور أن الإنسان هو عبارة عن عالم صغير لكنا فيه كل ما في العالم الكثير من صفات الجمال والجلال ،وهو أكبر مجلي لصفات الله ،أما إقبال فقد تناول هو الآخر الإنسان،وبحث في ماهيته،ومنزلته ومصيره في هذا الكون متقيا آثار من سبقه من المفكرين والفلاسفة المسلمين، فلقد عكست أشعاره الكثيرة ومحاضراته الفلسفية رؤيته تلك،إذ تعرض إلى الإنسان نشأة واستخلافا ومسؤولية ومعادا

المبحث الأول:الإنسان في نظر محمد إقبال

يفتتح إقبال كتابه (أسرار خوذي) بمقطوعة شعرية "لجلال الدين الرومي "غرضه منها البحث عن الإنسان،لكن من يكون هذا الإنسان؟ وما هي الصفات التي يراها إقبال ضرورية له حتى تمكنه من أن يكون هو المقصود؟

1. مفهوم الإنسان عند محمد إقبال

يرى إقبال أن الإنسان هو محور الحياة وهدفها المطلق،وهو صانع ذاته ومجتمعه بالعمل الدءوب،وهو السبب في تدمير ذاته ومجتمعه إذا تقاعس وتهاون، ولكنه إذا كافح قوي من ذاته وجوهره، وتمكن من فوق كل من العالم الذي صنعه الإنسان والعالم الذي خلقه الله فهو إذن صاحب المسؤولية في الحياة،وعليه تقع كل من المسؤولية الفردية والاجتماعية في تنظيم العالم والسمو فوقه.[1]

وحتى يصل الإنسان إلى تلك الدرجة الرفيعة من السمو والإبداع والقيام بأعباء المسؤولية في الكون ،فإنه لا مناص له من أن يحكم ذاته فيدعمها،وينميها حتى يحقق وظيفة الاستخلاف التي أنبطت بعهدته،ذلك ما أقره إقبال في ديوانيه الشهيرين (الأسرار)و(الرموز) اللذين تضمنا فلسفته التي عرفت بفلسفة الذات أو بنظرية الذاتية،التي ركز فيها على بيان مفهوم الإنسان في بعده الفلسفي وعلى حقيقته الوجودية ،وما أوكلته إليه الذات الإلهية التي جعلته خليفة لها في الكون.[2]

فلقد ذهب إقبال إلى أن الذات يجب أن تمر بمراحل حتى تقوى وتحقق وجودها:

*طاعة الله سبحانه وتعالى.

*ضبط النفس بتوحيد الله،ونفي الخوف والشهوات .

---

[1]. محمد العربي بوعزيزي: المرجع السابق ،ص 371.

[2]. المرجع نفسه ،ص 372.

*النيابة الإلهية في الأرض وهي مرحلة التي يكون فيها الإنسان مسيطرا على العالم ونافخا فيه الحياة في كل شيء،فهو في مرتبة الإنسان الكامل الذي ردد إقبال ذكره في مواطن كثيرة من أشعاره.ووصفه بالرجل المؤمن تارة،وبالإنسان الحر والإنسان الجسور أخرى،وطورا بالإنسان المتجرد ،وأخيرا والدرويش, وغير ذلك من الألقاب.[1]

وأما إذا عدنا إلى دواوينه الشعرية الأخرى فإننا نجد رؤيته حول الإنسان مثبتة في ثناياها التي تؤكد على أن هذا الكائن قوة روحية مبدعة،وهو نفحة سماوية مكرمة, قد أعدت إعداد مسبقا لسيادة الكائنات والتحكم في الموجودات،على الرغم من أنها تعد من أضعفها من حيث الخلقة الآدمية.

وحسبنا أن نشير إلى بعض المواطن التي وردت فيها إشارات إقبال إلى الإنسان في بعض دواوينه ففي ديوان (رسالة المشرق) تقرأ تحت عنوان : بين الله والإنسان ما يلي:

(خلقت الأنام لطين ومـــــاء خلقت تتارا وزنجا وفرســـــا

خلقت من الترب هذا الحديد وسهما خلقت وسيفا وترســـا

وفأسا خلقت لجذع وغصن

وسجنا صنعت لطير مغنى

خلقت الظلام فصغت السراج وطينا خلقت فصنعت الكؤوس

خلقت جبالا وبيدا ومرجـــــا خلقت حدائقها والغـــــروس

أنا من حجار صنعت مرايا

أنا من سموم صنعت دوايا)

[1]. محمد إقبال: جناح جبريل، المصدر السابق ،ص 93.

والإنسان هو سر الله في الوجود كما يثبت ذلك إقبال في ديوان (ضرب الكليم) فيقول في بعض أبياته الشعرية:[1]

(ذا طلسم الكون والعدم سمتي الإنسان من قِدم

هو سر الله حل فـلا يحتويه الوصف في كلِم

إن هذا الدهر من أزل من سفار باء السـقم

ومضى الإنسان سيرته لم يصب بالضعف والهرم

وإليك السر أعلنـــه أن تسمـــــه غير متهم

ما بدا روحا ولا بـدنا ذلك الإنسان للفـــــهم).

ويعكس ديوان(جناح جبريل) إيمان إقبال بقيمة الإنسان وبقدرته على تحقيق المعجزات ،فهو على الرغم من أنه على دراية بحقيقة هذا الكائن الآدمي والمركب من مادة وروح،فإنه يشير إلى أن جانب الطين في الإنسان لا يمنعه من السمو والوصول إلى النجوم ،بل يراه قادرا على تصعيد ذاته حتى يكون الكون كله مسخرا له وطوع أمره،إذ يقول في هذا الصدد:[2] ما وراء النجوم عوالم أخرى

(وللحب معاناة غائبة عن آفاق هذا الفضـــــاء

هناك قوافل أخرى تعيرها بالمئـــــــات

لا تقنع بهذا العالم هناك بساتين أخرى وأعشاش أخرى

إذا ضاع منك،فلماذا تحـــــــــزن

لن تفوتك مناسبات أخرى للبـــــــكاء

أنت شاهين قصاراك أن تطـــــــير

---

[1]. محمد إقبال: ديوان ضرب الكليم، تر: عبد الوهاب عزام(مصر: (د . د)، (د . ط)، 1956)، ص 41.

[2]. محمد إقبال: ديوان ضرب الكليم ،المصدر السابق ،ص 41.

ما تزال أمامك سماوات أخـــــــــــــــــــ رى

فلا تكبلك أغلال الأيام واللي ـــــــــــــــــــ الي

ما تزال تحت تصرفك آفاق أخرى وأزمان أخـــرى)[1]

ويذكر إقبال بحقيقة قدراته التي يتناساها في بعض الأحيان ،ويتناسى أنه سلطان البراري والبحار,ويستنهضه ليكون كذلك فيقول:

(هذا الكائن الإنساني, هل هو سلطان البراري والبحار؟

أأذكر لك قصة هذا الأع ـــــــــــــــــــ مى؟

إنه لا يرى شيئا،لا نفسه، ولا الله ،ولا الع ـــــــــــ الم

أهذا هو تحفة الرب الذي هو أن ـــــــــــــــــــ ت)[2]

ويلاحظ الدارس حرص إقبال على أن تكون للإنسان عين ثاقبة تدخل الهلع على الأسود ،أن لا يثغو ثغاء الخرفان المرتعشة المروعة فيقول:

(لتكن لك عين ثاقبة تدخل الهلع في قلوب الأسود

لا ثغاء خروف بارد يرتعش)[3].

والإنسان يستطيع عند استعمال طاقاته أن يبلغ أسمى المراتب التي قد تفوق مواقع الشمس والقمر والمشتري فيقول:

(الحياة سهم لكنه ما يزال قرب قوس.

---

[1]. محمد إقبال: ديوان جناح جبريل، المصدر السابق ،ص 136.

[2]. المصدر نفسه ،ص 98.

[3]. المصدر نفسه ،ص 108.

سماؤك أبعد بقليل عن القمر عن المشتري ،أخط خطوة واحدة هذا الموقع ليس بعيدا عن قمة السماء).

وتعكس أشعار إقبال حبه للإنسان القوي الذي يحول حبه الخردل إلى جبل ويمقت الإنسان الضعيف الذي يحول الجبل إلى حبة خردل ،ويشير إلى الإنسان القوي هو كسب الخلود في العالم،وأن باقي الموجودات سراب في سراب فيقول:

(قوة الذات تحول حبة الخردل إلى جبل

خور الذات يحول الجبل إلى حبة خردل

مصباحك قل ـــــــــــــــــــ بك

مدادك نف ـــــــــــــــــــ سك

أنت وحدك الحق في هذا الع ـــــــ الم

والباقي س ـــــــــــــــــــ راب).[1]

والإنسان كما تصوره في قصيدة إقبال بعنوان:(آدم يغادر جنة عدن والملائكة تودعه)،هو قوة مبدعة وروح خلافة تتصف بالأقدام والشجاعة والقدرة على التدبير والتسيير ويتجلى المعنى نفسه الذي أكد فيه إقبال على إيمانه الكامل بالإنسان وقدرته على اختراق الحجب والتصرف في الموجودات من خلال قصيدته التي عنون لها روح الأرض تستقبل آدم،التي يقول فيها:

(افتح عينيك ،انظر إلى الأرض والسماء والهواء حوالبك

انظر إلى الشمس تبزغ من الش ـــــــــــــــــــ وق

انظر تحت الحجب ،إلى الجمال دون حج ـــــــ اب!

انظر إلى أيام الفراق وما فيها من ع ـــــــــــــــ ذاب!

[1]. محمد إقبال: ديوان جناح جبريل ،المصدر السابق ،ص 53.

تحت تصرفك كل شيء هذه السحب وتلك الغـــــيوم

هذه القبة السماوية،وذلك الأثير الصـــــــــــــامت

هذا الجبل وتلك البرية،هذا البحر وتلك الأنســـــــام).[1]

ولعل الطريف في هذا التصور الإقبالي للإنسان هو الذي جعل من إبليس (الشيطان) يشكو من الإنسان ومن جرأته على تكدير صفوه ،كما جاء في القصيدة المعنونة بعنوان(شكوى إبليس).[2]

(قال الشيطان لرب اللكـــــــــــــــــــون

هذه الكومة من التراب،آدم،هاهي ذي تلتهب.

للروح واهنة ،ولكن الجسد ذو كرش، والثياب ذات هندام

القلب يحتضر،ولكن العقل متوقد وفي أوج قـــــــواه

شياطين الديمقراطية يديرون السياســـــــــــــة

لا يحتاجون إلي في الأرضـــــــــــــــــــ) .

تلك بعض ملامح الإنسان الذي آمن به إقبال ،وأشار إلى صفاته في كثير من أشعاره،التي تضمنتها مواطن كثيرة من دواوينه ،والتي حاول فيها رسم صورة شفافة للإنسان الكامل الذي ضبط مواصفاته ،وجعل منه سيد الكون وخليفة الله في أرضه ،إنه باختصار المؤمن القوي المتحكم في كل شيء في الوجود المشارك لله في تجميل الكون وتعميره وفي تنظيمه[3].

ويمكن القول في الأخير بأن ملامح نظرية إقبال حول الإنسان تزداد وضوحا من خلال محاضراته الفلسفية التي تناول فيها الحديث عن الإنسان باستفاضة ،وجعل منه مدار بحثه إلى

---

[1]. محمد إقبال: ديوان جناح جبريل ،المصدر السابق ،ص 206.

[2]. المصدر نفسه ،ص 207. 208.

[3]. محمد بوعزيزي: المرجع السابق ،ص 378.

جانب الله والكون ،واعتبر أن الكمال الوجودي يقوم على ثلاثية مقدسة يعد الإنسان أحد أطرافها الأساسية.

2. مراحل المساهمة في بلوغ الإنسان نحو الكمال

2-1- الحرية الإنسانية

تعد الحرية من أهم سمات الذات التي بلغت كمالها بالتربية ،وارتقت وفق درجات الكمال إلى أن قاربت الذات الإلهية.فالحرية الإنسانية الحقة لا تتحقق إلا للإنسان الكامل الذي كثيرًا ما يُلقبه إقبال ب(الإنسان الحر).وهو ذلك الذي سخر المادة ووجهها لخدمته ،واجتاز كل العقبات في سبيل تحقيق حريته.واجتاز كل العقوبات في سبيل تحقيق حريته ،وعليه فإنه من الواضح أن مسألة الحرية ذات أهمية بالغة في فلسفة إقبال الذاتية عامة ،وفي فلسفته التربوية خاصة إذ بدونها لا يمكن الوقوف على الفرق الجوهري الذي تقيمه هذه الفلسفة بين الإنسان الكامل وما سواه من بني البشر.[1]

والجدير بالملاحظة أن "محمد إقبال" (في مسألة الجبر والاختيار) يتفق كثيرا مع "محمد عبده" حيث أن لا منهما يقر بأن للإنسان ما يمكن أن نسميه طبيعة ثنائية فهو محدود وحر معًا،إذ بالرغم من كونه خاضعًا للضرورة إلا أنه يتغلب عليها ببعض الطرق،فهو حسب "محمد عبده" يتطلع إلى لذائذ الحياة غير المحدودة ولكن في قدرته السمو إلى أعلى الدرجات من الكمال التي لا تحدها أطراف المراتب والغايات.[2]

وبعنوان (عبودية) يرى إقبال أن العبودية قصر نظر ،هي تخلي عن شيء دفين في الإنسان وتسليمها إلى الملوك،وبسبب هذه العبودية والتخلي عن الحرية أصبح أسوء من الكلب ولن يدعو كلب ولن يدعو كلب بوله كلبا آخر باسم يا إلهي أو يا سيدي ،الإنسان عبد مقيد بسلاسل ينال حريته ،وهذه القيود الحديدية حول عنقه ليس قيودا أبدية ،فالإنسان في عالم الضرورة الاجتماعية،وقادر على أن يعيش في عالم الحرية ،الإنسان آلة في يد القدر ولكنه يقابل ذلك

[1]. خليل عبد الرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية(مكة المكرمة: دار حراء، ط1 ،1988) ،ص194 . 195.

[2]. محمد عبده: رسالة التوحيد ،تصحيح وتعليق: رشيد رضا(مصر: دار المنار،(د . ط)، 1361هـ) ،ص 106.

بالحرية الباطنية ،ويكون للحنان نغم الوجود ،يستطيع الإنسان أن يكون حرا في الحياة وشعابها المتثبتة يستطيع داخل الرضا إن يكون حرا ،فالحرية في القبول والرفض.

يؤكد إقبال في ديوان الأسرار(أسرار خوذي) على الحرية الإنسانية ،ويدعو المؤمن إلى استغلال حريته من اجل تحقيق ذاته وتقويتها،ونبذ التواكل والقعود على العمل والارتماء في أحضان الإيمان الخاطئ بالقدر،بل أنه يذهب إلى أن تحقيق الإيمان القوي بالجبر الإلهي هو في حقيقته تحقيق للحرية الإنسانية وللاختيار المسؤول ،ذلك أن الإنسان الحر هو الذي يسخر العالم لفائدته شريطة أن يقيد نفسه بالشريعة كما تشير إلى ذلك الأبيات التالية:

(فاحمل الفرض قويا لاته‌اب وارجون من عنده حسن المآب

أجهدن في طاعة ذا الخسارة فمن الجبر سيبدو الاختيـــار

بامتثال الأمر يعلو من رسب وهو الطاغي ولو كان اللهب

سخر الأفلاك في همـــــته من ثوى في القيد من شرعته

قد سرى النجم يؤم المنـــزلا طوع قانون له قد ذلـــــــــلا

ونما العشب بقانون النـــماء فإذا ما حاد يجفى بالعـــــــراء

ولهيب دائم دين الشقـــــيق دمه من ذاك يسري في العروق

يربط الذرات قانون الوصـال فهي بحر وهي بر باتصـــــال

كل شيء فيه قانون سـرى كيف في هذي المعاني يمترى)؟[1]

ولقد أشار كثير من الدارسين إلى اهتمام إقبال بمسألة حرية الإنسان وتغنيه بها ،فهذا الدكتور "نجيب الكيلاني" يذهب إلى الشاعر الثائر يعتقد اعتقادا جازما في مبدأ الاختيار ،ويحتج به ولا يرضيه مطلقا رأي القائلين بالجبرية.

[1]- محمد إقبال: ديوان ضرب الكليم ،المصدر السابق ،ص44.

ويرى الدكتور "الكيلاني" أن إقبال قد ضمن رأيه المتصل بمبدأ الاختيار في فلسفته التي أقامها على أساس الطاعة لأمور الله وضبط النفس ونيابة الله في الأرض ،فإذا ما وصل الإنسان إلى هذه المرحلة الثالثة لتربية الذات (في فلسفة إقبال) أصبح كامل الحرية مطلق الاختيار وجديرا بالأستاذية والسيطرة وقيادة العالم.[1]

وتتجلى ملامح ذلك الرجل الحر كما وصفه إقبال ،فهو الذي يسدد الضربات ويجيدها،وتجتمع فيه عظمة الملك وتواضع الصوفي وأخلاقه ،وغزارة علم الفقيه حسب ما تشير الأبيات التالية:

(إنما الحر من يجيد ضرابا لا الذي حربه تدور هـــــــراء

وسجايا الأحرار تجمع تاجا ذا سناء, وحرقة وقهبـــــــــاء

من خفايا ترابهم أخذ الدهر شرارا فصاغ منه ذكـــــــــاء

قطرة حرة تعاف الدنـــــايا من طوف الأصنام عاشت براء)[2]

ويقارن إقبال بين حياة الأحرار وحياة العبيد مشيرا إلى أن اللحظة الواحدة من حياة الأحرار قد تعادل عاما كاملا من حياة الأذلاء الواهنين .لما يحصل في تلك اللحظة من عمل وحيوية،إذ حياة الحر مجموعة من الحياة المليئة وحياة العبد خرافات وأوهام وتطفل وتقاعس كما تشير الأبيات التالية:

(ولحظة الـحر للذليل فكم تبطئ السير بالعيدان أوقات

ولحظة الحر من خلد رسالته ولحظة العبد من موت فجاءات

وفكرة الحر من حق منـورة والعبد من غيره تأتي الكرامـــات

كرامة حية بالحـــر ماثلـــة والعبد من غيره تأتي الكرامـــات).[3]

---

[1]. نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر(القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر،(د . ط)، 1959)، ص 78.

[2]. المرجع نفسه ،ص 90.

[3]. المرجع نفسه ،ص 89.

ومما تقدم يتجلى حرص إقبال على القول بالحرية الإنسانية ،ونبذه الارتماء في أحضان الجبر السلبي ،ومناصرته لقدرة الإنسان على اختيار أفعاله،وسعيه إلى إيجاد المؤمن الحر القوي الذي يسخر الكون بما فيه لفائدته, ينضو عنه ثوب الاستسلام والتواكل والتبعية للآخرين.

2-2- خلود النفس

والى جانب الحرية نجد إقبال قد تناول البحث في النفس على غرار من سبقه من العلماء والفلاسفة وامتد نظره ذاك يجمع آراء معاصريه ومفكري الإسلام وامتد ذلك ما يؤكده "محمد إقبال" الذي يرى بأن فكرة الإسلام الكلية تؤكد البعث الخلود غير أن الحياة في هذه الدنيا هي التي تهيئ للإنسان مجال العمل من أجل تحقيق تلك الغاية.وأن منظر الفناء الكلي الذي يسبق يوم الحساب لا يمكن في الصور فصعق وُنفخ ويؤثر في كمال اطمئنان الروح التي اكتملت نموًا[1].يقول:(من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله)[2]

ويؤكد القرآن أن ل لنفس الإنسانية حريتها وظهورها وقوتها أساس شخصية الإنسان وفرديته،وأنه وحدة من وحدات الوجو د،وهو مسؤول فكل إمرىء بما كسب رهبن،فواضح في القرآن ثلاثة مبادئ:اصطفاء الله للإنسان.خلافة الإنسان لله في الأرض ،حمله الرسالة وأمانة لتحقيقها في الدنيا،وبهذا المعنى تفهم عبارة الحلاج (أنا الحق) كتحد للمتكلمين والفصل بين الخالق والمخلوق.

وتكشف النفس عن وحدة الحالات العقلية ،مثل تاج محل ،بصرف عن مدينة أكرا.فالنفس لا توجد في مكان ،والنفس متفردة دون انعزال وهي جوهر روحاني بسيط ثابت لا ينقسم عند المسلمين خاصة "الغزالي" ويميز القرآن بين النفس والروح الأولى يمكن للإنسان معرفتها أما الثانية فيصعب ذلك, كما يميز بين الأمر والخلق

والسؤال هو :كيف تنشأ النفس داخل النظام المكاني و الزماني؟ القرآن صريح باستقلال النفس عن البدن. تتسم بصفات مغايرة له والعلاقة بينها مثل علاقة التلقائية بالنظام،الكيف بالكم.[3]

---

[1]. خليل عبد الرحمن: المرجع السابق ،ص 194. 195.

[2]. سورة الزمر: الآية 68.

[3]. حسن حنفي: محمد إقبال فيلسوف الذاتية (بيروت: دار المدر الإسلامي، ط1 ،2009) ،ص 492 . 493.

ما من عصر من العصور يطاول عصرنا هذا في مقدار ما كتبه عن موضوع الخلود،ومازالت أقلام الكتاب تزيد على الدوام بالرغم مما أحرزته المادية الحديثة من انتصارات،على أن الجدل الميتافيزيقي البحث لا يمكن أن يوفر لنا إيمانا قاطعا بالخلود الشخصي.[1]وإلى جانب صلة النفس بالبدن وخلودها فلم يغفل إقبال عن التعرض إلى هذه المشكلة التي شغلت وما تزال تشغل بال المفكرين والفلاسفة وذلك راجع لما لها من أثر فعال على سلوك الأفراد والجماعات.

لقد تناول إقبال الحديث عن خلود النفس وصلتها بالبدن في المحاضرة الرابعة التي انتصر فيها لمسألة البعث بعد الموت،وأثبت الخلود،ورد على المنكرين لهذه المسألة.

والدارس المتفحص لآراء السابقين في هذه المعضلة الفلسفية يجد أن فكرة الخلود قد عرفتها الأديان السماوية على اختلافها،كما أشارت إليها فلسفات قديمة وحديثة على السواء.

وتشير مصادر كثيرة إلى أن المصريين القدامى كانوا على رأس القائلين بالخلود ،إذ تعمقوا كثيرا في البحث عن الروح في بعثتها ونشورها وثوابها وعقابها وحياتها ،وذلك يبدو واضحا من خلال ما رسم على قبورهم ومعابدهم ،فقد كانوا يرون إن الموت عبارة عن رقاد في القبر إلى أن تعود الروح فترتدي جسدها الفاني من جديد كي تبعث إلى عالم الخلود. [2]احتلت قضية خلود النفس حيزا هاما من فلسفة "أفلاطون"،والتي خصص لها حوارا كاملا بسط فيه رأيه اعتبر "أرسطو" أن النفس صورة الجسد،وأنها لا تستطيع الوجود خارجا عن مادتها،وهي بذلك تفنى بفناء الجسد.[3]

وتابع فلاسفة الإسلام "أفلاطون" في قوله بخلود النفس حرصا منهم على ما جاءت به التعاليم السماوية، وما وقفوا عليه من آراء فلسفية.

وإذا ما تابعنا المسار الفل سفي لإقبال إزاء هذه المسألة وجدناه يتناول علاقة النفس بالبدن،مستعرضا الآراء المخالفة ناقدا إياها ،ومصححا لها ومعدل، ويستهل إقبال لعرضه ذاك بطرحه التساؤل تلو الآخر فيقول:(كيف تنشأ النفس في داخل النظام الزماني المكاني)؟

---

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 133.

[2]. باسمه كيال: أصل الإنسان وسر وجوده (بيروت: منشورات دار مكتبة الهلال، (د . ط)، 1971) ،ص 50.

[3]. المرجع نفسه ،ص 44.

ويجيب إقبال بأن تعاليم القرآن واضحة كل الوضوح ،ويورد الآيات القرآنية الكريمة:﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين...ثم أنشأهخلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.[1]

ويضع إقبال تساؤلا آخر في شأن تعلق النفس بالبدن قائلا:(فهل النفس والبدن الذي يتعلق به شيئان بالمعنى الذي ذهب إليه "ديكارت"،كل منهما مستقل عن الآخر ،وإن كانا متحدين بطريقة من الطرق الخفية)؟.

عند الإجابة يبدي اعتراضه على الوجهة القائلة بانفصال النفس عن البدن ويقر باتحادهما وإن كان يكشف عن كيفية ذلك الإتحاد حين يقول: إنني أميل إلى الاعتقاد بأن القول بأن المادة لها وجود قائم بنفسه قاصرة.[2]

ويطرح إقبال فرضية انفصال النفس عن الجسد اعتمادا على أن التجارب اليومية والعلم الطبيعي يصدران عن افتراض وجود للمادة قائم بنفسه فيقول:(فلنفترض إذن بصفة مؤقتة أنّ النفس والجسد كل منهما متميز عن الآخر ،وإن كانا متحدين على وجه يخفي علينا).[3]

انتقل إقبال لدارسة هذه المسألة الماورائية بعد أن حلل علاقة النفس بالبدن وحريتها ،وكشف عن حقيقتها ،واستهل إقبال الحديث عن الخلود في نهاية المحاضرة الرابعة بالإشارة إلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع في عصرنا الحاضر ،وعلى الرغم من ذلك ،فإن أقلام الكتاب مازالت تزيد في محصوله على الدوام،على الرغم مما أحرزته عليه المادية الحديثة من انتصارات[4].

(ويسوق إقبال مثال تناول "ابن رشد" موضوع الخلود من ناحية ميتافيزيقية بحتة وأنا لا أجرؤ عللى القول بأنه لم يصل إلى نتيجة ما ولعله قد فرق بين الحس والعقل ،لأن القرآن استعمل لفظي (لنفس) و (الروح) وهذان اللفظان اللذان يوجبان في الظاهر أن هناك صراعا بين مبأين في الإنسان متضادين ،قد ظلا الكثيرين من مفكري الإسلام.وإذا كانت أثنية "ابن رشد" قامت على أساس من القرآن فإني زعيم بأنه قد أخطأ لأن كلمة (نفس) لم تستعمل في القرآن في أي معنى

---

[1]. سورة المؤمنون: الآيتان 14/12.

[2]. باسمه الكيال: المرجع السابق ،ص 50.

[3]. المرجع نفسه ،ص 50.

[4]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، المصدر السابق ، ص 128.

اصطلاحي من المعاني التي تخيلها علماء الكلام في الإسلام ،والعقل في رأي "ابن رشد" ليس صورة لجسد ،بل له نوع من الوجود مختلف يسمو على وجود الفرد وهو بناء على ذلك واحد كلي أزلي،ومن البديهي أن هذا معناه أنه لما كانت وحدة العقل الكلي أمرا فوق طور الشخص ،فإن ظهوره لنا على صورة وحدات متكثرة في أشخاص عديدين ليس إلا وهما من الأوهام وقد يكون معنى وحدة العقل الازلية ،كما رأى رينان الأبدية الإنسانية والحضارة ،فمن المؤكد أنها لا تعني الأبدية الشخصية).[1]

والجدل في موضوع الخلود الشخصي في الأزمنة الحديثة ،أخلاقي في جملته ولكن الحجج الأخلاقية [2]مثل الحجج أوردها كانت وما أدخلت عليها في المراجعات الحديثة لمذهبه'تتوقف على نوع من الإيمان في تحقق مقتضيات العدالة ،أو بما للإنسان من عمل فريد لا يمكن الإيمان الاستغناء عنه بغيره بوصفه باحثا فرديا عن مثل عليا غير متناهية.فكانت يرى أن الخلود أمر يعجز العقل النظري عن البرهنة عليه ،ويرى "ويليام جيمس" أن الاعتراف على الخلود يكون صحيحا فقط إذا اعتبرنا وظيفة المخ المنتجة للحالات العقلية،ولكن مجرد كون تغيرات عقلية معينة تكون مقترنة بتغيرات جسمية معينة لا يثبت أن التغيرات العقلية العليا تنشأ عن التغيرات الجسمية.[3]

أما عن تاريخ الفكر الحديث يشتمل على رأي أجابي في الخلود وذلك في المذهب التي دعا إليه "نيتشه"،وسماه (العود الأبدي) وهو مذهب خليق لشيء من الدرس ،ليس فقط لأن صاحبه قد تشبث به في حماسة النبي الملهم ولكن كذلك.لأنه يكشف عن اتجاه حقيقي في العقل الحديث،وفكرة العود الأبدي طرأت على أذهان كثيرين حوالي الزمن الذي طرأت فيه على "نيتشه" كأنها وحي شاعر.[4]

---

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 133.

[2]. المصدر نفسه ،ص 133.

[3]- المصدر نفسه ،ص 134.

[4]. المصدر نفسه ،ص 135.

ولننتقل الآن إلى تعاليم القرآن (إن رأي القرآن في مصير الإنسان بعضه أخلاقي ،وبعضه بيولوجي،لأن القرآن في هذا الصدد يصرح ببعض أحكام ذات طابع بيولوجي لا نستطيع فهمه إلا إذا تعمقنا في فهم طبيعة الحياة).[1]

وقبل أن نفصل القول في رأي القرآن في خلود الروح ينبغي أن نلاحظ أمور ثلاثة واضحة كل الوضوح في القرآن ،لا يختلف أحد في أمرها ،أو لا ينبغي أن تكون محل خلاف وهذه الأمور هي:

أولا:أن الروح لها بداية في الزمان, وأنها ليس لها وجود سابق على ظهورها في الترتيب المكاني والزماني،وهذا صريح في الآية التي ذكرتها.

ثانيا:أن القرآن يرى أن الرجوع إلى هذه الأرض غير ممكن ،وهذا واضح في الآيات الآتية[2]: ﴿حتىَ إذا جاء أحدهم الموت قال رب إرجعون (99) لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلاَ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾.[3]

ثالثا:أن النهاية أي انقضاء الأجل ليس بلاء[4]:﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمان عبدا(93) لقد أخصاهم وعدهم عداً(94) آتية يوم القيامة فردا﴾[5]وهذا أمر بالغ الأهمية ينبغي أن يفهم على وجهه الصحيح حتى نضمن فهم رأي الإسلام في الخلاص فهما واضحا ،فالإنسان أو الذات المتناهية شخصيته المفردة التي لا يمكن أن يستعاض عنها بغيرها سيقت بين يدي الذات غير المتناهية ليرى عواقب ما أسلف من عمل ليحكم بنفسه على إمكانيات مصيره. [6]﴿ وكل إنسان ألزمناه طائرة في عنقه وتخرج له يوم القيامة كتابا نلقاه منشورا(13) أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾.[7]

---

[1]محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 136.

[2]. المصدر نفسه، ص 137.

[3]. سورة المؤمنون: الآيتان 99/ 100.

[4]. محمد إقبال: مصدر نفسه ،ص 139.

[5]. سورة مريم: الآيتان 93/ 95.

[6]. محمد إقبال: مصدر نفسه ،ص 139.

[7]. سورة الإسراء: الآيتان 14/13.

فإذا فهمنا هذه النقاط الثلاث فهما واضحا سهل علينا أن نتصور ما بقى من مذهب الخلود،فالإنسان في نظر القرآن متاح له أن ينتسب إلى معنى الكون وأن يصير خالدا.[1]

ولكن على الرغم من انتصار إقبال لروحية النفس وقدسيتها وخلودها حتى الموت فإنه يجانب الحقيقة الدينية المتعارف عليها في بعض الجزئيات ،فهو مثلا قد جعل من (البعث)فترة(لجرد البضائع) ،وجعل من الدار الآخرة موصولة بالدار الدنيا في حياة الإنسان ،وأنه يمكن للمرء بعد موته أن يواصل عمله لمزيد استكمال نموه النفسي وكماله الروحي ،وهذا ما لا يقربه الإسلام الذي يرى في الدنيا دار ابتلاء وامتحان ،ويرى في الآخرة دار قرار وسكون ينقطع فيها كل امتحان واختيار بصريح قوله تعالى ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ [2]وقوله:﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارّ فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به،أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ [3]تلك معالم الرؤية الإقبالية الإقبالية للإنسان الذي يعد أحد مكونات الثلاثية الفلسفية المقدسة(الله ـ الكون ـ الإنسان) ،تناوله فيلسوفنا نشأة وتكريما واستخلافا ومعادا.

[1]- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 140.

[2]. سورة آل عمران: الآية 179.

[3]. سورة آل عمران: الآية 91.

المبحث الثاني: أبعاد الإنسان وغاياته

1. أبعاد الإنسان.

1-1- البعد الروحي

نجد "محمد إقبال" قد أولى اهتماما كبير خاصة للجانب الروحي عند دراسته للإنسان أو في نظره للإنسان،سواء في تشكيل الذات الإنسانية وتحصيل المعرفة وفي الاتصال بالعالم العلوي وكل ما له علاقة روحية،كما يؤكد إقبال على ضرورة الاهتمام بالقلب إلى جانب الاهتمام بالعقل والحس،ودورهما في تحصيل المعرفة وتسخير الطبيعة بالملاحظة وبالبحث التجريبي، أكد "محمد إقبال" على أن القلب هو قوة خفية،بل ما هو إلا أسلوب من أساليب تحصيل الحقيقة ليس للحس والقلب له معنى فسيولوجي.[1]

بحيث وصف "محمد إقبال" أن القلب ذات نشاط رياضي وروحاني أو صوفي إلا إن تكون هذه الرياضة لا تعدو إن تكون نوعا آخر من أنواع التجربة،وإن كانت مستوى آخر من مستويات تحصيل المعرفة.[2]حيث نجد التجربة العقلية والحسية عند إقبال تنطلق من الجزء لتشكيل الكل،في حين نجد أن الرياضة الصوفية لا تقبل التحليل ولا أثر فيها للتمييز المعهود بين الذات والموضوع.ونجد من خلال ما ذكر سابقا أن إقبال يرى عندما يكون الإدراك الحسي الذي نعرف به العالم الخارجي هو عين أسلوب العلم بكل شيء آخ،وهذا لا يتم إلا بالتأمل الباطني أولا وبالإدراك الحسي ثانيا،لأن إدراك أنفسنا ذاتها حسب "محمد إقبال".[3]

ويوضح "محمد إقبال" أن المعرفة الصوفية التي تطرقنا إليها سابقا أنها لا تنفصل انفصالا كليا عن الفكر أي أنها مرتبطة به، كما أن التجربة الصوفية هي السبيل إلى المعرفة بالإضافة إلى أنها مجال حقيقي لا يقل في ذلك عن كل مجال من مجالات التجربة الإنسانية،في حين نرى أن

[1]- محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام، المصدر السابق ،ص 23.
[2]- المصدر نفسه ،ص 24.
[3]. المصدر نفسه ،ص 26.

شأنها لا يرجع إلى الإدراك الحسي ولا يمكننا تجاهله. [1] ومنه فالتجربة الصوفية تؤدي بنا إلى المعرفة في مجالها الحقيقي والمعرفة الصوفية مرتبطة بالفكر.

ونرى أن "محمد إقبال" قد أعطى أهمية كبيرة وعظيمة للحقيقة وضرورة الوصول إليها،ويؤكد إقبال أيضا أنه ينبغي للفكر البشري أن يسمو أو يعلو فوق ذاته،وأن يجد كما له في حال من أحوال العقل يسميها الدين بالصلاة،وذلك لأن الدين تجربة واقعية في حياتنا وسعى للاتصال الوثيق بالحقيقة،بينما الفلسفة هي عبارة عن نظر عقلي في الأشياء يحاول أن يرى الحقيقة من بعد.[2]وهنا نجد أن "محمد إقبال" قد أعطى نظرة حول الدين ومنه أعطى مثلا بالصلاة كما نجده في نفس الوقت قد أعطى نظرة حول الفلسفة،وهي عبارة عن نظر عقلي في الأشياء.

ويجعل "محمد إقبال" ميدان العبادة أو الصلاة هي أحد مجالات لالتقاء والتفاعل،وكذلك التكامل للجانب الروحي في أحد أبعاد الإنسان آلا وهو البعد العمودي مع ما يسمى بالجانب المعرفي أو العقلي في الإنسان أو الإنسانية أو الشخصية،مثلا فنجد البحث عن المعرفة هو الباعث الحقيقي والأصلي للعبادة وفي هذا يقول:(أما العبادة في حالة الوعي الصوفي فهي في معظمها تتصل بالمعرفة وهذه الناحية المعرفية هي التي سأحاول الكشف عن معنى الصلاة عن طريقها ووجهة النظر هذه مبررة تمام التبرير بالنظر إلى الباعث الأصلي على العبادة).[3]

ونجد" محمد إقبال" قد أكد على موقفه في ما ذكر آنفا على العبادة بحيث يدعم موقفه هذا بقول العالم النفساني الأمريكي "وليام جيمس" [*]:(يرجح لدينا أن الناس سيظلون يصلون إلى آخر الزمان ،بالرغم مما قد يأتي به العلم على عكس ذلك، اللهم إلا أذا تغيرت طبيعتهم العقلية إلى حالة ليس لدينا شيء مما نعرفه يهدينا إلى توقعها،والباعث للإنسان على الصلاة نتيجة ضرورية

[1]- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 31.
[2]- المصدر نفسه ،ص 74.
[3]- المصدر نفسه ،ص 104.
[*] وليام جيمس هو فيلسوف أمريكي ولد في 11كانون الثاني 1842في نيويورك ومات في 26 آب في شوكورا الأخ الأكبر للروائي هنري جيمس ، وأبن المفكر والروائي يعد مفكرا أميركا العصري وأحظى كتابها بالتقدير والإعجاب تجدر من أسرة من المهاجرين الإرلنديين أصابت خطأ من الثراء، وتردد على كثرة المدارس في أقطار شتى وعدم انتظام دراسته، وتنوع صبوا تهجعلا صعبا عليه اختيار مهمة وله العديد من المؤلفات.

للحقيقة هي أن النفس الإنسانية التجريبية وإن كانت في صحيحيها نفسا اجتماعية فإنها لا تستطيع أن تعثر على ندها إلا في عالم مثالي...)[1].

ويخلص "محمد إقبال" على إن الكلام عن الصلاة من الناحية السيكولوجية أنها غريزية في أصلها،تهدف إلى المعرفة تشبه التأمل، وهي في أعلى مراتبها تزيد كثيرا إلى أو على التأمل المجرد،فالعقل في تفكيره يلاحظ فعل الحقيقة ويتقضى أثاره كما نجد أن الصلاة هي عبارة عن وسيلة للهداية الروحانية وفعل حيوي عادي تكشف به شخصيتنا التي تشبه جزيرة صغيرة مكانها ضخم في الوجود الأكبر للحياة. [2] الصلاة من جانبها السيكولوجي هي غريزية مثلها "محمد إقبال" على أنها أعلى المراتب ووسيلة للهدية مكانها واسع في حيز الوجود الإنساني .

ونرى أن إقبال قد لا يفصل بين ما هو نشاط عقلي وما هو تجربة روحية أي أنه يربط بينما هو عقلي وروحاني،فيؤكد على أن الصلاة هي عبارة عن تكملة ضرورية للنشاط العقلي،لكل متأمل في الطبيعة وملاحظتها ملاحظة علمية دقيقة تجعلنا على اتصال دائم بسلوك الحقيقة وأن كل طلب للمعرفة نجد في جوهره صورة من صور الصلاة. [3] ومنه تعتبر الصلاة عملية تكملة لنشاط العقلي الجوهرية المرتبطة بسلوك الحقيقة وعلى علاقة دائمة بالتجربة الروحية في فكر "محمد إقبال" من خلال تصوره للإنسان وخاصة الإنسان الكامل.

كما يدعو "محمد إقبال" إلى ضرورة الجمع بين القوة والمشاهدة لكي تستمد الحياة الروحية وتتواصل عند الإنسان،أما القوة فتنتج من سيطرة الإنسان على الطبيعة بينما يقصد بالمشاهدة أي مشاهدة الكل غير المتناهي،وهذا الجمع إلي دعي إليه "محمد إقبال" بين القوة والمشاهدة هو عملية ضرورية، حيث لا ينبغي أن ينفصل أحد قطبيها عن الآخر،إذ أن القوة من غير المشاهدة تنزع منزع التدمير والتجرد من الإنسانية،بينما المشاهدة المجردة عن القوة وأن كانت تحقق السمو

[1]-محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 105.

[2]. المصدر نفسه ،ص 106.

[3]-بلعسل ناصر: محمد إقبال وتصوره لفكرة الإنسان(جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2007.2008) ،ص 85.

الخلقي إلا أنها تعجز عن توفير ثقافة دائمة.[1] فهناك علاقة متكاملة بين القوة والمشاهدة من خلال ما يدعو إليه "محمد إقبال" وانفصالهما عن بعضهما البعض يؤدي إلى التجريد من الإنسانية.

وعلى الرغم من اهتمام إقبال بالشخصية الفردية ونموها الروحي والعقلي، فإنه لم يهمل البعد الجماعي في عملية النمو الروحي،حيث يؤكد "محمد إقبال" على أن الغرض الحقيقي من الصلاة يتحقق على خير وجه عندما تكون الصلاة الجماعية فروح كل صلاة هي روح أجماعية.[2]

كما نجد "محمد إقبال" قد حاول فيما سبق أن يعتمد على علم النفس خاصة في تأثير الجماعة والاجتماع، ومختلف القوى الإنسانية .

ـ الجانب العقلي

افتتح إقبال هذا الجانب بسؤاله:فيما إذا كان من الممكن أن نستخدم في مباحث الدين المنهج العقلي البحت للفلسفة؟ هنا نرى أن جوهر الدين عكس جوهر الفلسفة،وأن جوهر الدين قائم على الإيمان بصفة خاصة،حيث يقول:(الإيمان كالطائر يعرف طريقة الخالي من المعالم غير مسترشد بالعقل). [3] في حين نجد تأكيد إقبال على الاختلاف القائم بين منهج الدين ومنهج الفلسفة،كما أنه لا يفي أن الدين أشد حاجة من المبادئ العلمية على أساس عقلي،كما أكد أيضا على الفكر والبداهة غير متضادان بالضرورة في فكر إقبال بل نجدهما ينبعان من أصل واحد وأن الواحد يكمل الآخر،فاحدهما يدرك الحقيقة جزءا جزءا، أما الآخر فهو يدركها في جملتها.[4]

كما نجد "محمد إقبال" في الجانب العقلي فهو يواصل نقده لكل من ا"لغزالي" [*] و"ابن رشد" [*] و"المعتزلة والأشاعرة" في جوانب معينة مثلا نجد أن ا"لأشاعرة" إلا أنه لم تكن غايتهم إلا الدفاع

---

[1]. محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 106.

[2]. المصدر نفسه ،ص 107.

[3]. المصدر نفسه ،ص 5.

[4]. المصدر نفسه ،ص 7.

[*]الغزالي هو متصوف كبير شقيق المتكلم الكبير أبي حامد محمد الغزالي ،توفي في قزوين سنة 520ه/ 1126م ،صاحب مذهب الحب الخالص له بالفارسية سوانح الأشواق وله العديد من المؤلفات المتنوعة.

[*] ابن رشد هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ،عربي ولد في قرطبة سنة 120ه/ 1126 وتوفي في 9 صفر 595ه/ 1198م في مراكش أبوه من قضاة الشرع في قرطبة حظي بتربية ممتازة أتاحت له أن يصير سنة 565ه/1169م قاضيا للمدينة.

عن رأى أهل السنة بأسلحة المنطق اليوناني،وينتقد "المعتزلة" لأنه غاب عنهم في ميدان المعرفة سواء كانت علمية أم دينية،وهما لا يمكن للفكر أن يستقل عن الواقع المتحقق في عالم التجربة،كما أنه أنتقد العديد من فلاسفة الفكر اليوناني على رأسهم "أفلاطون" و"أرسطو"،كما أنتقد "الغزالي" على تأكيده،على عجز العقل عن الوصول إلى أحكام جازمة مما دفع إلى أن يقيم حدا فاصلا بين العقل والبداهة وأنهما متصلان اتصالا أساسيا. [1] "محمد إقبال" أنتقد فلاسفة الفكر اليوناني وكذلك غيرهم من علماء الكلام في العديد من المسائل في مجالات المعرفة العلمية والدينية منها وكذلك الحكم عليها بين العقل والبداهة.

أكد "محمد إقبال" من خلال النقد السابق الذكر بأن الفكر جوهره لا يقبل التقيد ولا يستطيع البقاء حبيسا في نطاق ذاتيته الضيق هنا يؤكد أن حركة الفكر هي حركة مستمرة غير متناهية.[2]

ونجد أن كمال الذات عند "محمد إقبال" هو كمال نسبي،وأن التكوين العقلي للإنسان لا يمكن أن يكون إلا نتاج معرفة جزئية وليست كلية،ذلك لأننا تكويننا العقلي لا يمكننا إلا من معرفة الموجودات معرفة جزئية لا غير،وهي في الوقت نفسه تحفظ الحياة وتزيدها قوة ونماء،وتعاليم القرآن التي تؤمن بإمكان تقويم سلوك الإنسان وبسط سيادته على كامل قوى الطبيعة لا هي بالمتفائلة ولا هي بالمتشائمة بل هي تحسن الظن بالعالم،فتسلم بعالم ينمو ويزداد،ويحركها الأمل في انتصار الإنسان آخر الأمر على الشر. [3] وأن كمال الذات هو جزئي وليس كلي في عمليو التكوين العقلي للإنسان في فكر "محمد إقبال" ويعمل على إنتاج معرفة هي أيضا جزئية لا أكثر وهذا ما يجعل سلوك الإنسان يفرض جميع قوه الطبيعية على العلم من مما ينميه ويزدهر به.

وفي الأخير يرى إقبال أن هذا كان منطلق قيام المنهج التجريبي وهو منهج قائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله لا التفكير النظري المجر حيث أكد إقبال في هذا

درس الفقه القرآني والكلام والفلسفة والطب والرياضيات وله العديد من المؤلفات كما أن ابن رشد أنكر دواما أن يكون مؤسس مذاهب فلسفية ، فقد كان يضمر له إجلالا ما بعده إجلال وكان يحرص حتى بصفته شارحا ،ثم نقلت جميع شروح ابن رشد إلى العبرية في مجرى القرنيين الثالث عشر والرابع عشر.

[1]. محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 10.

[2]. المصدر نفسه ،ص 13.

[3]. المصدر نفسه ،ص 91.

المجال أن المعرفة لابد بأن تبدأ بالمحسوس وقدرة العقل على تحصيله،وهو الذي يسير له الانتقال من المحسوس إلى غير المحسوس.[1]

وهنا ليست غاية مطلب الذات التحرر من الحدود الفردية بل هي العكس،وإنما المطلوب منها تحديدا أدق وأوفى.وهذا الأخير ليس عملا عقليا،وهو عمل حيوي بعمق مع كيان الذات كله ويشحذ إرادتها بتأكيد مبدع بأن العالم ليس شيئا مجرد لرؤية وأنه شيء يعرف بالتصور،وإنما هو شيء يبدأ ويعاد بالعمل المستمر في اللحظة التي تعرف فيها الذات ذلك،وهي اللحظة التي تستشعر فيها السعادة العظمى وتجتاز فيها أكبر امتحان لها حسب "محمد إقبال" في جانب العقلي.[2]

(أأنت في مرحلة "الحياة" أم "الموت" أو "الموت في الحياة"؟

أنشد العون من شهود ثلاثة لتتحرى حقيقة " مقامـــــــك".

أولها عرفانك لذاتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــك.

فانظر نفسها في نورك أنـــــــــــــــــــــــــــــــت.

والثاني معرفة ذات أخـــــــــــــــــــــــــــــــــرى.

فانظر نفسك في نور ذات ســـــــــــــــــــــــــــواك.

والثالث المعرفة الإلهـــــــــــــــــــــــــــــــــية.

فانظر نفسك في نـــــــــــــــــــــــــــــــور الله.

فإذا كنت ثابت الروع في حضرة نـــــــــــــــــــــوره.

فاعتبر نفسك حيا باقيا مثـــــــــــــــــــــــــــله). [3]

---

[1]محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 151.

[2]. نجيب الكيلاني: المرجع السابق ،ص 226.

[3]. محمد إقبال: المصدر نفسه ،ص 232.

نستنتج من ما سبق أن الملاحظة والتجربة أساس العلم والتفكير النظري،أما المعرفة تأتي من المحسوس ثم تنتقل إلى غير المحسوس،والهدف من تحرير الذات تحديدها وهذا عمل حيوي يؤدي بنا إلى السعادة القصوى وهنا تتخطى أكبر امتحان أو مرحلة في التفكر العقلي.

ـ الجانب الوجداني

بالإضافة إلى الجانب العقلي أعطى "محمد إقبال" اهتمام كبير للجانب الوجداني وخاصة في جانبه المتعلق بالقصائد الشعرية التي صاغها بأسلوب عاطفي جانح ومحلق على أمواج العواطف فقال:

(آلامنا إلى العلا أجنحة نعلو بها فوق مطارات النسور

الروح سر والحياة ظلمة وشعلة الآلام للأرواح نـــور)

وأكد إقبال على الجانب الوجداني واعتبره كجزء يتصل بجوانب الذات (موضوع العشق) ويؤكد إقبال أن العشق هو(وقود يثير الحركة والتدفق والتدافع ويشعل الحماس ويؤجج العاطفة...وهو أيضا الطاقة التي إذا انطلقت لم تعقها السدود ولا القيود،لأن الذات العاشقة فوق الزماني والمكاني،وهي القدرة والقضاء).[1]

وإقبال قد يرى أن الجانب الأول يمثل العشق والجانب الثاني يتمثل في العلم،أي أنه يعطي مكانة مرموقة للعشق ويرفعه،وهنا يعقد مقارنة بين الجانب العاطفي للذات وكذلك الجانب العقلي بينها،ويرى إقبال أن العشق يكون بحب الرسول صلى الله عليه وسلم،وأتباعه من الصحابة،حيث يقول(كل من يكون متاعه عشق المصطفى يكون البر والبحر في طرف ذيله). [2]ويقول" محمد إقبال" حول موضوع الذات كالآتي:

(قال لي العلم غرورا إنما العشق جنون

قال لي العشق مجيبا إنما العلم ضنين

[1]. نجيب الكيلاني: المرجع السابق ،ص 56.

[2]. المرجع نفسه ،ص 60.

لا تكن سوس كتاب يا أسيرا للظنون

فمن العشق شهود

ومن العلم حجاب

ومن لهيب العشق ثارت ثورة في الكائنات

شهود الذات للعشق وللعلم صفات

ومن العشق ثبات وحيات وممات

علمنا سؤال جلي

عشقنا خافي الجواب

معجزات العشق ملك زانه فقر ودين

وعبيد العشق أداهم له عرض مكين).[1]

وتطرق إقبال إلى مشكلة التطور التي اعتقد من خلالها أن كل شيء في الوجود هو قابل للتطور،خاصة فيما يتعلق بالكون وكائناته وكذلك الإنسان نفسه وشخصيته،هذه الأخير هي أساس التطور،ففي قضية تطور الإنسان تعرض إلى العلاقة بين الروح والجسم وعلاقة العقل بالجسم وغيرها.

وفي قضية التطور انتقد إقبال نظرية التطور الدروانية ووصفها بأنها هي التي أورثت العالم نوع من اليأس و الحيرة بدلا من التحمس للحياة والعمل على التطور المستمر،في هذا التطور سواء كان هذا التركيب للإنسان عقليا أم فسيولوجيا في نهاية المطاف التطور البيولوجي،وأن الموت من حيث هو حدث بيولوجي. [2] حيث يرى أن التطور قد يتنافى مع عدد من القضايا الإسلامية التي لها علاقة بالجانب الروحي للإنسان فيما يتمثل في قضية البعث بعد الموت وخلود

[1]. بلعسل ناصر: المرجع السابق ،ص 94.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 139.

النفس...ألخ.ولكن لا ينفي تماما في قضية تطور الكون والإنسان وهذا في فلسفة إقبال،ويستشهد بشعر "جلال الدين الرومي" في التطور حيث يقول:

(من مرتبة الجماد إلى مرتبة النبات فإلى مرتبة الحيوان ثم إخراجه

إلى حالة الإنسانية فأنتقل من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة أخرى

حتى أصبح حكيما عالما قويا كما هـــــــــــــــو الآن

ولكنه لا يذكر شيئا عن نفوسه الأولـــــــــــــــــــــى

ولسوف تتغير نفسه الحاضرة مرة أخـــــــــــــــــــرى) [1]

ونلاحظ أيضا أن الإنسان في سيرته تنتهي بفناء بدنه بل فناء البدن مرحلة للانتقال إلى مرحلة موالية تتمثل في البعث،فإذا تناولنا هذا الأمر من ناحية فلسفية لا نقدر على أن نقول أكثر من أن ماضي تاريخ الإنسان يجعل من المستبد أن تنتهي سيرته بفناء بدنه.[2]

ويرى إقبال أن تطور الحياة يبين أنه كل حسي أو جسمي يتحكم أول الأمر في العقلي،والعقلي تزداد قوته اتجاه التحكم في الحسي،ويكون في نهاية الأمر يتماشي إلى الإرتقاء إلى حالة من الاستقلال التام،وفي هذا تكون له مادة تعجز بجوهرها عن تفجير التركيب الخالق الذي نسميه الحياة والعقل. [3] ومنه يعتبر إقبال هذا تجديد وليس جمود،ومنه تكون النفس مرتبطة بالجسد أو الجسم،في حين أن إقبال لم يدرس الإنسان من الجوانب الجسمية والروحية والعقلية والوجدانية فقط،بل أنه تطرق إلى مدى تأثير بعض الجوانب الشخصية في جوانب أخرى،وكذلك درسها من جانب ارتباطها بالإنسان من ناحية بيئته وثقافته.

---

[1]. المصدر نفسه ،ص 140.

[2]. المصدر نفسه ،ص 140.

[3]. المصدر نفسه ،ص 122.

ويكمل التمايز في الذات عند إقبال في كونها تتضمن الفردية من جهة،مع أن التغيير المستمر في الحياة من موقف إلى آخر يعتبر من خلال الذات الفشل أو النجاح أو الرغبة... ألخ.[1]

ومنه يرى إقبال أن قوة الذات تكمل في دوافعها ورغباتها وأهدافها،وتكون في حالة من الجهاد المتصل،وكذلك التوتر النفسي والكفاح المستمر في قوة الذات الإنسانية،ويكون الفعل القبيح المرذول في الذات ويخمد فيها ثورة التواثب للنضال والذي يجعل الذات في أكمل قوتها وينميها وبدفعها إلى الأمام ويقر بها إلى الهد الرئيسي،وتقوى الذات بتوليد المقاصد وكذلك إيجاد الرغبات بالإضافة الأماني وهذا بسبب قوة الذات.[2]

ويرى إقبال في ديوانه(أسرار ورموز) أن لوصول الإنسان إلى الغاية التي رسمها الله وهي خلافته في الأرض،يرى أن الذات يجب أن تمر بثلاثة مراحل وهي:

1. إنشاء المقاصد وتوليد الرغبات.

2. النضال المستمر والكفاح المتصل،ولهذه المرحلة شروط أساسية أهمها:

- الطاعة والانقياد لأوامر الله تعالى.
- ضبط النفس وجهاد النفس.

3. الوصول إلى مقام المؤمن الكامل الذي يجب أن يتصف بالصفات الآتية:

- الإرادة وحرية الاختيار.
- التغلب على الدنيا.
- عدم الهيبة من الموت واعتباره معبرا للخلود.
- تسخير الكائنات وإخضاع الوجود.
- عدم الافتتان بالدنيا والجوانب المادية رغم امتلاكها والسيطرة عليها.
- الصعود المستمر في مدارج الكمال والتقرب إلى الذات الإلهية المطلقة.

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ، المصدر السابق ،ص 70.

[2]-نجيب الكيلاني: المرجع السابق ،ص 50 . 51.

حيث أن إقبال في هذه المرحلة الأخيرة أي مرحلة الوصول إلى مقام المؤمن الكامل التي تؤدي إلى إنتاج مجموعة أو جماعة من الذوات الكاملة،وطريقها يكون أيضا إلى الكمال،يؤدي إلى قيادة البشرية إلى سبيل السلام والنور والحب والخير في الحياة البشرية وهذا ما تؤديه الذات بالنسبة للإنسان.[1] هما نرى أن مقام المؤمن الكامل هو أعلي مرحلة من المراحل التي تمر بها الذات أو مجموعة الذوات في قيادة البشرية بصفة عامة.

كما أن إقبال يحرص غلى أن يقيم علاقة بين الجانب العاطفي والمعرفة،وكذلك علاقة بين السلوك والمعرفة،مثل اتصاف الإنسان بالعجلة وهذا راجع إلى حرص الإنسان أصله على تحصيل المعرفة عن اقرب طريق ممكن.[2]

في حين نرى أن إقبال قد أكد قول فيما سبق حول الذات بقوله الشعري في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) على أهمية صقل الذات وتهذيب السلوك وارتباطها ارتباط شديدا بالتجديد،وفي هذا يقول "محمد إقبال":

ما أجمل أن يصقل الإنسان ذاتـــــــــــــــه !

وأن يختبر رونقها في سطوع الشمـــــــــــــــس.

فأستأنف تهذيب إطارك القـــــــــــــــديم.

وأقم كيانا جديـــــــــــــــــــــــــــدا.

مثل هذا الكيان هو الكيان الحـــــــــــــــق.

وإلا فذاتك لا تزيد على أن تكون حلقة من الدخان).[3]

[1]. نجيب الكيلاني: المرجع السابق، ص67.

[2]. المرجع نفسه ،ص 67.

[3]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 233.

2-1- البعد المادي

نجد في البعد الثاني من أبعاد الإنسان عند "محمد إقبال" آلا وهو البعد المادي تطرق فيه إلى أسباب جمود الثقافية الإسلامية،بالإضافة إلى أسباب التخلف الذي أصاب علماء المسلمين،حيث لخص إقبال هذه الأسباب في أربع مسائل أساسية،وتتمثل في الانحطاط السياسي وتجميد الاجتهاد وتفشي التصوف السلبي والتقليد الأعمى لأوروبا.

حيث يؤكد إقبال في مسألة الانحطاط السياسي الذي بدأ بضعف الدولة بعد ما كانت الحضارة الإسلامية في ذروة تطورها وازدهارها،فقد تخلى الحكام عن مبدأ الشورى واستبدوا بالحكم.[1] في حين نجد أن بعض العلماء قد تخلوا على مبدأ الاجتهاد،كما نجد أن بعضهم الآخر قد عكف على التفكير النظري،وأشتغل البعض الآخر بالتصوف،من خلال هذا أصبح تقليد العلماء الكبار هو السمة الواضحة للمحافظة على النظام الإسلامي، وبهذا تكبَلت حرية الاجتهاد. [2] هنا نستنتج أن الانحطاط السياسي هو أحد أسباب انهيار الحضارة الإسلامية قديما وهذا ما جعل علماء المسلمين كل واحد يتجه نحو اتجاه معين في التفكير النظري والتصوف وكذلك المحافظة على النظام الإسلامي وغيرها.

كما رفض إقبال فكرة التوكل وعارض أيضا فكرة الجبر فيرى أن الفكرة الأولى أنها غريبة عن الإسلام، ويقول:(لو كان التوكل هو جوهر الدين لازداد التاعس فقرا بقبوله). [3] أما بالنسبة للفكرة الثانية التي يعارضها وهي فكرة الجبر التي يرى أنها ذات مفهوم فاسد،وقد تصدى للرد عليها بعض العلماء مثل "الحسن البصري" * عارض ادعاء الأمويين أن سلطتهم بمحض الإرادة الإلهية فرماهم بالكفر،اعترف الإسلام بحرية الإنسان.[4]

---

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، المصدر السابق ،ص 178.

[2]. المصدر نفسه ،ص 163.

[3]. محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 90.

* الحسن البصري هو فيلسوف وطبيب كحال عربي، كان من تلاميذ عبد الله الطيب، دخل في نقاش مع المعتزلة ومع منتقدي، عقائد النصرانية ،ولديه العديد من المؤلفات خاصة منها رسالة واجدا نية الخالق وتثليث أقانيمة ،والعديد من الرسائل الأخرى والكتب.

[4]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر نفسه ،ص 121.

ثم تطرق إقبال إلى سبب آخر من أسباب جمود الثقافة الإسلامية والتخلف الذي أصاب العلماء المسلمين،وهو تقليد أوروبا تقليدا أعمى وهذا يكمل في جمد روح المبادرة لدى المسلمين بالإضافة إلى إدخال ألفاظ دخيلة على الثقافة الإسلامية،حيث أن المسلمين الذين يقلدون الغرب الأوروبيين فإنهم يبحثون في السراب عن منبع الكوثر،كما أنهم يجهلون ثقافتهم الأصلية بالمرة.[1] وهنا نستنتج أن الإسلام من خلال نظره للعالم ككل فإنه ينظر إليه نظرة دينامكية،ويعتبر الإنسان خليفة الله في الكون وفي الأرض،وفي هذا ينطلق إقبال من مصدر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فهناك الكثير من الذين جمدوا معنى الشريعة،بحيث نرى أنهم هم الذين أغلقوا باب الاجتهاد في الثقافة الإسلامية وهم من انتقدهم "ابن تيمية" [*] ،ولكي يكون الاجتهاد والتجديد أراد هذا الأخير أن يتجاوز المذاهب الفقهية من اجل العودة إلى أصول الإسلام،حيث يوجد في الحياة الدينية عدة مراحل منها مرحلة الإيمان ومرحلة الفكر ومرحلة الاكتشاف،حيث تعتمد المرحلة الأولى على الطاعة ولا تفسح المجال للفهم العقلي. وتتميز مرحلة الفكر بالتفهم العقلي عكس السابقة،أما المرحلة الثالثة فهي تنفتح على علم النفس وتمنح كل فرد شخصيته. [2] وكل مما سبق نرى أن ناتج عن التقليد الأعمى للفكر الأوروبي وهو من أسباب جمود الثقافة الإسلامية.

إن التصوف السلبي غريب في الإسلام،فينبغي تركه وتعويضه بحياة دينية ناشطة بحيث نرى أن الصوفي الحقيقي هو رجل تأمل ورجل عمل في نفس الوقت،ومنه لا يمكن فهم القرآن الكريم إلا إذا أنزل بها على الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

---

[1] محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 155.

[*]. ابن تيمية هو فقيه حنبلي وإمام سلفي، ولد في خزان سنة 661هـ/1263م ومات في دمشق سنة 728هـ/1328م وكان ألد خصوم الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، وقد استلهم فكره على أوسع نطاق دعاة السلفية في ق 19، هاجم مدارس الحلاج وابن عربي في صنوفها المختلفة، ووقع في محنة شبيهة بمحنة سلفه ابن حنبل وله العديد من الكتب والرسائل وغيرها.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 195.

[3]. المصدر نفسه ،ص 196.

بحيث تكون الثقافة الإسلامية هي مرتبطة بالواقع المحسوس ومنه فهي تختلف عن طريقة الفكر اليوناني،والدين نرى انه يبحث عن الصلة التي تجمع بين الحسي والباطني والفلسفة عملية نظرية في حين أن الدين تجربة حية.

يرى إقبال أن العلم والدين هما جانبان متكاملان فمهما يعتمدان على التجربة،مثلما حاولت الفيزياء الحديثة في عهد اينشتاي ن إثبات الوضعية العلمية،ومنه أراد العلم أن يقوم في مقام الدين،فالدين ليس فيزياء أو كيمياء التي تبحث في تفسير الطبيعة بالنسبية،إنما الدين نراه يرمي إلى تفهم التجربة الدينية التي لا يمكن أن تستمد متطلباتها من أي علم آخر [1].

وفي التصوف السلبي يسيطر على الحياة والجهل هو أيضا يسيطر على النفوس والعقيدة يعميها الفساد،والناس يكفون عن العلم ويستسلمون للكسل وينقادون للمستعمر كالأنعام،والحضارة الغربية تبهر الشباب بقوتها وبريقها. [2] ويعتبر إقبال نظرية الذات التي دعا فيها المسامين إلى العودة إلى منابع الإسلام الصافية من قرآن وسنة،ولفت النظر إلى ضرورة تنقية العقيدة مما أصابها من فساد.

حيث يعتبر "محمد إقبال" أوروبا هي العائق الوحيد في سبيل الرقي الأخلاقي للإنسان بسبب سيطرة الديمقراطية المادية على مجتمعاتها التي ليس لها هدف سوى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان،وفي هذا يقول إقبال:(على المسلم اليوم أن يقدر موقفه،وأن يعيد بناء حياته الاجتماعية على ضوء المبادئ النهائية،وأن يستنبط من أهداف الإسلام التي لم تتكشف بعد إلا تكشفا جزئيا،تلك الديمقراطية الروحية هي منتهى الإسلام ومقصده). ومنه دعي إقبال إلى تنفيذ الديمقراطية الروحية وهي التي تهدف وتعمل على غاية الإسلام ومقصده،وهي أيضا السبيل الذي يمكن للمسلم المعاصر أن يعيد بناء حياته الاجتماعية وفقه على أسس ديمقراطية روحية. [3]

وفي وصية يقول بها إقبال لمسلم اليوم تكمن فكرته الإصلاحية،فليست فكرته الإصلاحية شيئا أكثر من محاولة لإعادة بناء الحياة الاجتماعية الإسلامية على مبادئ الإسلام نفسه،ما كان

---

[1]. محمد إقبال : رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 66.

[2]. نجيب الكيلاني: المرجع السابق ،ص 41.

[3]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص208.

معروفا بالضرورة وما يصح أن يتفقه فيه،كما تكمن فكرته الإصلاحية في الدعوة إلى تلك الديمقراطية الروحية التي تقوم على الاعتداد بذات الفرد،وسيطرته على الطبيعة والواقع،وإدراكه لحقيقة أصل وجوده وهو الله.[1]

ويرى إقبال أن هناك علاقة بين الذات والمجتمع وأنها لا تكمل في نموه إلا في إطار الجماعة،ولا يكون هناك مجال لارتقاء الفرد إلا من خلال وجوده في جماعة،ومنه الفرد المنتمي للجماعة والملتزم بنظام ثابت قويم هو أساس الحياة ومحورها،ويتصور إقبال أن الفرد يضعف وتتلاشى قوته من دون الجماعة أي أن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمفرده، وينبغي على الفرد أن يرتبط بتلك الجماعة حتى يصير هيكله من القوم،ومن هذا المنطلق يميز بين إثبات الذات من نفي الذات،ومنه قيمة الذات تتجلى قوتها في الجماعة فاعلة وعاملة فيها أي تكون الجماعة متعاونة مع بعضها البعض وفي شتى المجالات.[2]

ويقول إقبال في سياق حديثه عن نفي الذات فهي مصطلح نفي الذات إدانة الأنماط السلوكية التي تؤدي إلى إضعاف الذات،كما يؤدي أيضا إلى تحللها وعدم قدرتها على الاستمرار الأبدي مع بعض الاتجاهات الصوفية،كما أن إدانتي لنفي الذات إدانة لتلك الأنماط السلوكية التي إلى القضاء على الأنا كقوة غيبية،وإنما الخضوع للذات الإنسانية كلية للذات الإلهية،ومثالية الصوفية الإسلامية هي مرحلة وراء مرحلة الفناء ألا وهي البقاء التي تعدَ من وجهة نظري أعلى درجات تأكيد الذات.[3]

بحيث لا ينكر قيام القبائل والأمم على العصبيات إلى حين عند النشأة والتكوين لها،ثم عرض إقبال من ناحية أخرى أفكاره الفلسفية وركز فيها على تجديد الفكر الديني وجعل الفكرة الإسلامية مواكبة لتطور النظريات العلمية والفلسفية الحديثة.

---

[1]. محمد البهي: المرجع السابق ،ص434.

[2]. محمد إقبال: أسرار الذات ونفي الرموز ،المصدر السابق ،ص 83.

[3]. أحمد معوض: المرجع السابق ،ص 331.

وفي معرضه للمقارنة بين الدين والفلسفة في نظر إقبال، حيث يرى أن الدين يهدف إلى إيصال أوثق للحقيقة إلى الفلسفة التي لا تعدو أن تكون مجرد نظريات،أما الدين فتجربة حية واتصال وثيق ومنه يولى أهمية كبيرة للدين على الفلسفة.[1]

فالدين يشغل حيزا واسع في فكر وفلسفة إقبال التي يمكن وصفها بأنها روحية،وهذا ما أدى إلى القول أن إقبال كان صوفيا،حيث يقول الدكتور "إبراهيم مدكور":(كان لابد أن تنظر إلى أوائل القرن العشرين لنرى فلسفة صوفية،واعية ومجددة على أيدي "محمد إقبال"). [2] وفي سياق حديثه عن الدين أن الجمود عن القديم ضار في الدين،فهو يقضي على حرية الذات المبدعة،ومنه يكون الدين في جوهره حال من أحوال الحياة الواقعة،كما انه يوصف بنوع من الرياضة عالية ورفيعة يصحح أفكارنا في فلسفة الإلهيات، كما أنه في الأخير يجعلنا نشكك في الحركة العقلية البحتة في هذه الأفكار المتعلقة بالدين. [3] كما نجد إقبال أنه قد عارض بشدة النظرية التي تقول في الدين وسائل بيولوجية فحسب،كما أنه يؤكد فكرة الترابط بين الدين والعلم،ويستهدف هذا الترابط إلى أقصى درجات الحقيقة على الرغم من تباين مناهج البحث للوصول إليها في فكر إقبال[4].

وفي الأخير نستطيع القول أن إقبال في مجال البعد المادي كما ذكرنا سابقا،خاصة التصوف وهو يجب أن يكون عمليا وأن التصوف يجب عليه أن يكون متمسكا بمختلف أمور الشريعة والدين بعيدا عن النظريات التجريدية مثل وحدة الوجود،أما التصوف عند إقبال هو ليس نبذا للحياة بل سموا بها إلى أعلاها وأبقاها،وليس تجريدا فلسفيا خالصا لا يمت إلى واقع الحياة بصلة،وإنما هو مثال رائع للجمع بين الواقع والخيال وبين الفكر والعمل. فهو مستنير بمبادئ الإسلام الخالدة والمعمول بها وفق الشريعة الإسلامية،ومنه نرى أنها تتجلى الصلة بين الدين والفلسفة والتصوف منه تكون علاقة متكاملة بين الثلاثة السابقة وقد حرص إقبال على أن يحذر من كل فلسفة لم تكتب بدم القلب ومن كل تصوف بعيد عن الحياة.

---

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 9.

[2]. إبراهيم مدكور: الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه(مصر :دار المعارف،ط3، 1976)،ص 70.

[3]. محمد إقبال:المصدر نفسه ،ص 212.

[4]. يوسف محمد علي: الجفوة المفتعلة بين العلم والدين(بيروت، مكتبة دار الحياة، (د . ط)،(د . ت))،ص 5.

2. غايات الأبعاد

يرى "محمد إقبال" أن لأبعاد الإنسان غايات وأهداف لدراسته حيث نظر إليها نظرة متأتية لواقع المسلم الحاضر وكذلك ماضيه التاريخي المتعلق به،ومنه يكون المسلم الذي يعيش في الحاضر أي المعاصر أنه يعيش تناقضات كبيرة في مختلف ميادين الحياة، جراء تلاقي عنصرين ثقافيين متناقضين في المنبع والهدف،لاقت بينهما لحظة تاريخية تجري في إطار سنن الله في تعاقب الأمم،حيث نرى أن هذه اللحظة التاريخية التي تجري في إطار تعاقب الأمم قوة كبيرة وإضافة عنصر دخيل فرض نفسه بقوة وكان هذا على حساب عنصر أصيل في طبيعة الإنسان المسلم، والعنصر الدخيل يضع الإنسان المسلم مشدودا بين وترين الأول وتر الوفاء للتعاليم الدينية والوتر الثاني الوفاء للحضارة المعاصرة،ومنه تقتصر مجهودات الإنسان المسلم على محاولة التوفيق بين العنصرين السابقين كلما تفرزه من نتائج مختلفة في جميع ميادين الحياة، وفي الأخير يرى إقبال أن المسلم المعاصر ذات واقع جامد لا يعبر عن قوة الإسلام وقيمته،وله أشكالا متعددة تعبر عن حقيقة في شتى جوانب الحياة سواء كانت روحية وثقافية ونفسية واجتماعية وسياسية وغيرها.[1]

فمثلا على المستوى الروحي بالنسبة للإنسان المسلم المعاصر هو المضمون الحقيقي لمختلف عقائد الإسلام المعمول بها،ومنه فهي تغلب عليها عقيدة التوحيد التي تعبر هي أساسها،ومنه فهي تعد جوهر رسالات الأنبياء،وتعمل على تنظيم قوى الإنسان المسلم والمجتمع وكذلك الكون،هذا ما نراه موضحا في فكر "محمد إقبال".[2]

وعموما أن هذا العقيدة التي ذكرت آنفا نجدها لم يتأمل فيها المسلم،ولم يعرف حقيقتها،فالتسليم بوحدانية الله هي التي تكسب الإنسان إذا أحسن الاعتقاد بها،وكذلك العمل في إطارها المسموح بها،وفق قاعدة نفسية ووجدانية وخلقية وذاتا موحدة،ومركزة تجمع شتات قوى الإنسان المسلم وكذلك تقوم بتنظيم عمله في الحديث عن التوحيد والعقيدة ويقول إقبال:(إن قلت لا

[1]. محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص332.

[2]. المصدر نفسه ،ص 332.

إله إلا الله،فقلها إذن بالروح كي تهب روائح الحبيب من كيانك،فإنك إن وجدت الله حق التوحيد،عمدت إلى التخلق بأخلاق واكتساب صفاته فتشم الخلائق نسائمه منك أنت).[1]

وحين يبعد الإنسان المسلم على عقيدة التوحيد فإنه يطغي في الظلام والجهل التي أودعها الله في الذات الإنسانية وهذا تباعا للإمكانات في حين أن اغتراب الإنسان المسلم عن عقيدة التوحيد يعتبر الإنسان المسلم عن عقيدة التوحيد يعتبر تغلغل الذات في كيانه وهو أيضا نزعة التواكل،ونتيجة هذا يصبح الإنسان المسلم مقلد للغرب،ويصبح في ابتعاد عن دينه،ومنه يمكن أن يكون كالشباب المتعلم الذي يرزق وهو حي وأنه في حقيقة الأمر ميت استعار حياته بأكملها للغرب وهذا جراء تقليد الغرب من طرف الإنسان المسلم على عقيدة التوحيد.[2]

ثم نرى أن الجانب الديني هو الوحيد القادر على تغيير وضع الإنسان المسلم،ذلك من خلال العديد من الاهتمامات التي تتعلق بالمسلم وتمس كل أبعاد الإنسان،والدين هو الوحيد الذي يؤهل على إعداد الإنسان العصري وتأهيله خلقيا،ومنه يكون الدين أعلى وأسمى مظاهرا من المظهر الصوفي.[3]

أن الإسلام ليس سلطة زمنية وروحية،لكن الأولى تتميز عن الثانية في حين أنهما يتصلان في جانب معين على وجه ما،وفي الأساس هما متضادتان والحق هو أن المادة هي الروح مضافة إلى الزمان المكاني،وهي في العقل أو النفس نظرت إلى عملها باعتبار ماله من هدف أو الغاية إلى المثل الأعلى الذي تنتج أتستهدف هذا العمل ألا وهو الإسلام.[4]

ثم أنتقل إقبال إلى مكانه النظام التربوي الإسلامي وأساسه في المحافظة على وحدة المجتمع، وكذلك يجب أن يعمل على رفع همة الإنسان المسلم،أما الإنسان المتذمر يصبح شيء أخطر على التحصيل العلمي من التقليد، حيث يقتل روح الإبداع والنقد. مثل الأسلوب التربوي الغربي لا يتلاءم مع خصوصيات مجتمعنا وديننا،فعلم الحق أوله حواس وآخره حضور ونهايته لا

---

[1]. محمد إقبال:رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 333.

[2]. المصدر نفسه ،ص 233.

[3]. محمد البهي: المرجع السابق ،ص 217.

[4]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام المصدر السابق ،ص 179.

يحتويها شعور،فالعلم الصحيح هو الذي يجب أن يتماشى مع مختلف مراحل الإنسان. [1] ومنه كان الإنسان المسلم المعاصر في أزمة وهذه الأزمة نفسية تجلت عقدة الغرور والتفوق والتغني بالتراث والأمجاد حيث نستدل هنا يقول "مالك بن نبي":(ومصدر هذا البلاء معروف،إن الإسلام دين كامل، وبيد أن هذه القضية قد أدت في ضمير ما بعد الموحدين إلى قضية أخرى،وهي (نحن مسلمون) فنتج عن هذا إذن (نحنح كاملون) قياس خاطئ مشئوم يقوض قابلية الفرد للكمال بالقضاء على همه إلى الكمال وحين يعتقد أنه بتأديته الصلوات خمس قد بلغ ذروة الكمال دون أن يحاول تعديل سلوكه وإصلاح نفسه فهو كامل الكمال العقم،كمال الموت أو العدم). [2]

نرى إقبال لو يرض للمسلم المعاصر أن يكون في صورة الإنسان الغربي وأنه الإنسان قد أغشاه نشاطه العقلي، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحية الكاملة،أي على حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس،وهو في حلبة الفكر في صراع صريح من النفس وهو في مضمار الحياة السياسية والاقتصادية في كفاح صريح مع غيره. [3]

والخطر على المسلم المعاصر الاتجاه التجريبي المادي للمظهر الخارجي البراق للثقافة الأوروبية،وأن الإنسان المسلم المعاصر لم يعرف أن الإسلام يطلب التجربة في المعرفة،وأنهم لم يعرفوا أن أسلافه الأولين أفادوا البشرية عامة باستخدام التجربة على نطاق كبير من حيز المعرفة الإنسانية. [4]

ونرى أن ثمار الثقافة الغربية ترتد في أسسها إلى العلوم الإسلامية،لهذا يرى "محمد إقبال" أنه يجب إعادة النظر في تفكيرنا الإسلامي،وأن نمحص هذا الفكر الجديد بروح مستقلة ويقظة في نفس الوقت،وأن نتعامل مع الثقافة الغربية دون مركب نقص ويحذر من الخطر الكامن في هذا الفكر ،فمن السهل أن ينخدع به الكثير من المسلمين. [5]

---

[1]. محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 328.

[2]- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ت: عبد الصبور شاهين(سوريا: دار الفكر، ط 1، 1991) ،ص 76.

[3]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 215.

[4]. المصدر نفسه ،ص 141.

[5]. المصدر نفسه ،ص 41.

"فمحمد إقبال" يعتقد أن الإنسان لا يبدي دراسته للعلوم اهتماما كبيرا للروحية والإنسان الحديث فهو ينغمس في الواقع،مع أنه هذا الإنسان الحديث يتجاهل كل شيء عن الروح وهذا لا يمكن للإنسان الحديث الوصول إليها إلا بواسطة ما يقوم به الإنسان من محاولات ونجد أن الإنسان المادي لن يكون له واقع إلا إذا انمي الروح في داخل نفسه،وهذا يكون بوجود المادة شلت حركة الإنسان.

ومن المعروف أن معرفة مقام الإنسان ووظيفته،وهي الخلافة لأنه المبدع فيها والمستفيد من ثمارها،بحيث يجب أن يسمو الإنسان إلى مستوى جديد في فهم الإنسان لأصله ومستقبله من أين جاء وإلى أين يصير.[1] في حين نرى أن فهم الإنسان فلا سمة إلا بربطه بأصله الروحي لله سبحانه وتعالى،وفي فهم الإسلام خاصة،وتوطيد أقوى لهذه العلاقة.[2]

وفي الأخير نرى أن الإنسان في تصور الإسلام قبس من نور الله لا ينتمي إلى أي بقعة من هدا الكون ولا إلى أي جنس من أجناس هذا العالم الإنساني،وأن الإنسان المتحرر من العديد من القيود في الزمان والمكان في البعد الروحي،وهو لا ينتهي بانتهاء الساعة أو العالم،ومنه فأن الإنسان ينال الخلود، وخلافته لا تقتصر على الأرض فقط بل هي في السماء لا بل الأرض وكل الكون.

وإن النزعة المفرطة في التعالي باقتراحها لمثل هذا التصور الخيالي المجاني للواقع الإنساني لا تؤدي في كل الأحوال إلا إلى جعل عمل المتوحشين عملا مبررا،مما يسمح لهم بتجاوز القيم الإنسانية الحقيقية،وما القول بموت الله إلا دليلا على موت كل القيم التي تجعل الإنسان يتجاوز إنسانته،وكان هذا وفق الغايات والأهداف من وراء أبعاد الإنسان وهما البعد الروحي والبعد المادي عند "محمد إقبال".

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، المصدر السابق ،ص 131.

[2]- محمد إقبال: رسالة الخلود ،المصدر السابق ،ص 153.

خلاصة الفصل:

وخلاصة القول أن "محمد إقبال" تناول هو الآخر الإنسان،وبحث في ماهيته،ومنزلته ومصيره في هذا الكون مقتفيا آثاره من سبقه من المفكرين والفلاسفة المسلمين،حيث يراه انه محور الحياة وهدفها المطلق وهو أحد رموز ثلاثية مقدسة (الله، الكون، الإنسان) وهو القادر على التحكم في هذا الكون ومنه تسخير الفائدة لقواه العقلية والروحية الخلاقة،وذلك بتحمله مسؤولية إحلال النظام محل الفوضى، ومن أجل ذلك أنبطت بعدته مسؤولية الاستخلاف في الأرض فتحمل الأمانة بكل خسارة،ونجد أن الإنسان لديه مراحل من أجل بلوغ الكمال عنده الأولى تتمثل في الحرية الإنسانية التي تعد أهم سمات الذات والحقة لا تتحقق إلا بالإنسان الكامل الحر،والثانية خلود أو وجود النفس التي أقر بروحانيتها ووحدة أفعالها وخلودها وبعثها من جديد،والإنسان له أبعاد المتمثلة في البعد الروحي الذي اهتم بالقلب إلى جانب العقل والحس ودورهما في تحصيل المعرفة،والبعد المادي تطرق فيه إلى أسباب جمود الثقافة الإسلامية والتخلف،وتكمل غاية الأبعاد في النظرة المأتية لواقع المسلم الحاضر وماضيه التاريخي.

الفصـــــــــــــل الثالث

فلسفة الذات في فكر محمد إقبال

تمهـــــــــيد

المبـــــــــحث الأول: مفهوم الذات في فكر محمد إقبال

1. تعريف الذات

2. أبعاد الذاتية

3. علاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية

المبـــــــــحث الثاني: مراحل تطور الذات عند محمد إقبال

1. الطاعة الإلهية

2. ضبط النفس

3. النيابة الإلهية

خلاصة الفصل

تمهيد:

بعد تفكير طويل وتأمل عميق في واقع الأمة وما أصابها من علل،خاصة في القرنيين الأخريين،وما آل إليه وضع المسلمين،حيث بدأ يشعرون بخيبة أمل، وضياع حق وكذلك فقدان قومية شعور كان من نتائجه،فقدان الثقة بالنفس،وبالتالي ضعف في الذات وارتماء في أحضان الغير،من قبل البعض ونزوع نحو الفناء وترك الحياة الواقعية من قبل البعض الآخر،وهي علل اقتضت في نظر "محمد إقبال" علاجا فاعلا وكفيلا يرد الثقة للأمة،وقدرة على إحياء عزتها،إعادة تمكينها. فجاءت فلسفة الذات عند "محمد إقبال" سعيا لتحقيق هذا الغرض واستشعارا بروح الإسلام وتعاليم القرآن بخلق ذات قوية لا تقهر ولا تهان وللوقوف على مضامين هذه الفلسفة،ماذا نعنى بالذاتية عند "محمد إقبال"،وما هو أصل كلمة (خوذي) التي أستعملها "محمد إقبال" تعبيرا عن الذات؟.

المبحث الأول: مفهوم الذات في فكر محمد إقبال

1. تعريف الذات

الذاتية عند إقبال هي الإحساس بالشخصية وإدراكها والتفكير بها ومعرفتها فهو يرى بأن الذات تتجلى في حياة الإنسان حيث يعبر على ذلك بقوله:(فمركز الحياة ذات (خوذي) * أو الشخص،أعني أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتا) [1]. فالإنسان ذات والله ذات وكل الموجودات ذات، هذا يعنى أن الذاتية عند إقبال لا تقتصر على الإنسان وحده بل تضن العالم برمته فهي استقلال كل كائن عن آخر.وهذا ما نجده في الفلسفة الروحية عند "أفلاطون" مثلا(فحكم هو الآخر بعد "سقراط"* بأن النفس هي العنصر الجوهري في الإنسان وهي حقيقة وأنها ذات مستقلة)[2] .

والمفهوم الحقيقي للذات عند إقبال يمكن في أنها:(سر الحياة،ومركز الشعور وهي حقيقة كل موجود)[3].إلا أننا نجد للذات مكان مخصص للعمليات النفسية لا تخضع لأي شعور وهذا ما أكده "مالك بن نبي" في كتابه (الظاهرة القرآنية):(أن الذات الإنسانية تحتوي على مجال معين تتكون فيه الظواهر النفسية الغامضة،التي لا تخضع لسلطان الشعور،كالأحلام مثلا). [4] كما يعتبر الذات أنها هي أصل الوجود وأساس الحياة،وهي تمثل نظام ومصدر هذا العالم وقوته،وبالرغم من تعدد أشكال الذات إلا أن ماهيتها واحدة وهو بهذا يصف الذات بأنها واحدة في الوجود وقد جاء

---

*(خوذي) كلمة أقتبسها إقبال من اللغتين الفارسية ليستعملها بمفهوم خاص معبرا بها عن (الذات) بمعنى الإحساس بشخصية وتعيينها وتوكيدها.

[1]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص 20.

*سقراط(399/470ق/م) ولد في ألويكية بأثينا، كان أبوه نحاتا يدعى سوفرونيسكوس، وأمه قابلة تدعى فينارته، تعرفه من خلال مأثورات كثيرة وجوها مختلفة، كما أنه أتجذ منهج التهكم والتوليد وجعل حرية الاختيار مركز فكره ولديه العديد المؤلفات والأبحاث المشهورة.

[2]. محمد جلال شرف: الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي(بيروت: دار النهضة العربية،(د . ط)،(د . ت))،ص 226.

[3]- أمحمد شيلي: المرجع السابق ،ص 62.

[4]. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين(دمشق: دار الفكر، ط4، 1987) ،ص 174.

وفي الأثر(أن أصل العالم هو الذات وغن تسلسل الحياة في الوجود،إنما تقوم على استحكام الذات ودعمها وحسب إن الذات واحدة، ظهرت في الكون بمظاهر متعددة).[1]

بحيث نلاحظ أن مفهوم الذات عند إقبال تبلور في بداية الأمر بالمفهوم الإنساني والاجتماعي ثم بينه في قالب فلسفي حيث يقول في ذلك "السيد علي الخامنئي" في مؤتمر دولي(لقد قدم إقبال نظاما فلسفيا ذهنيا كالمفاهيم الفلسفية نعرفها نحن،وإنما هو مفهوم إنساني اجتماعي مغلق بلبوس فلسفي وموشي بلحن كذلك ولأجل أن يتمكن من الحديث عن الذاتية في شعره وقصائده،ومثنوياته كأصل ومفهوم واضح أحتاج إلى توضيح هذا المفهوم فلسفيا).[2]

ومن جهته إقبال أحس ما مدى صعوبة انتقاء هذا المصطلح،مصطلح (الذات) أو(خوذي) للتعبير به عن فحوى فلسفته وهو يعترف بذلك قائلا:(اخترت كلمة خوذي بصعوبة بالغة وبجهد شديد فمن الناحية الأدبية فيها العديد من النقائض ومن الناحية الأخلاقية تستعمل عادة في كل من الأردية والفارسية بمعنى سيئ...وحسب إطلاعي ليس هناك كلمة تعبر عما أريده سواء في الأردية أو الفارسية أحسن من كلمة خوذي) [3]. ونرى أن كلمة خوذي تعني في اللغتين الأردية والفارسية معنى منافي للأخلاق ولهذا السبب اضطر إقبال إلى استعمالها مجردة من معناها الأخلاقي ليعبر بها عن حقيقة الأنا(Ego) أو الشخصية ويقول وفي هذا الصدد:(وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ (خوذي) لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثر،كما يستعمل في اللغة الأردية غالبا،إنما معناها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات،وهي بهذا المعنى في كلمة (بخوذي) كذلك).[4]

فالذات هي التي تمنح الحياة الحركة في هذا العالم هذه الذات التي أراد التصوف وخاصة العجمي أن يذيبها ويصل بها إلى درجة الفناء خاصة لما يصلوا إلى غاية فلسفتهم وهو يقول بوحدة الوجود التي تصبح فيها الذات أمام معنى اللاوجود بل يصبح كل الوجود فناء وهي من الوجهة الأخلاقية والعملية معا تجعل الذات لا تدرك لذاتها ولا تكتشف قوتها فقدر ما يكون فناءها حتمية فما يكون لها مصيرا تصنعه،وإنما لحظة ضعف واستسلام كقدر ينتظرها يقول:"صلاح

---

[1]. أحمد معوض: المرجع السابق ،ص 342.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 32.

[3]- أحمد معوض: المرجع نفسه ،ص 330.

[4]. عبد الوهاب عزام: المرجع السابق ،ص 15.

الدين محمد شمس الدين الندوي" في كتابه(الاتجاه الإسلامي في شعر إقبال):(إن الذات حياة حقيقة والحياة بجميع لذاتها مرتبطة بإثبات الذات واستحكامها وتوسعها وكأن الصوفية مسحوا هذه الذاتية الرائعة بطرقهم المختلفة،وخاصة في اعتقادهم بوحدة الوجود وأنكروا وجود كل شيء واعتبروا أن الدنيا هي صورة مظاهر الوجود الإلهي في الكون ليس لها أي وجود أصل بل هون وخيال ووهم لا موجود إلا الله حتى قاموا بالقضاء على كل وسائل التقدم والتمدن والحضارة والرقي بأخلاقهم السلبية).[1]

والذاتية تكون حركة تحول الفرد إلى تركيز الغائية في ذاته وذلك بالسعي إلى إثباتها وتقويتها لأن حقيقتها في أن تكون شيئا لا أن ترى شيئا وهي تصدق على قول

"كانت"[*]أنا أقدر لا في قول "ديكارت" [*] أنا أفكر،وغالبا ما يستعين بتمثيل هذه الذات وإرادتها القوية بالشاهين ذلك الذي لا يرضى إلا أن يكون عاليا في السماء يقول إقبال في ديوان يأمم الشرق:

(أيها الشاهين ما هذا الجمود أين منك إلياس أو أين الصعود

يائس أم أنت مقصوص الجناح أم خشيت الوثب في هوج الرياح

ماشكا مخليك النســـــر ولا فر من عزمك طير في الفـــلا

الخيال الشم و الأفـــــاق لك أيها الهارب من أوج الفـــــلك

طر إلى النجم وحلق من جديد في الفضاء اللازوردي البعيد).[1]

[1]- صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي: المرجع السابق ،ص 195.

[*]كانت ولد ومات في كونيغسبوغ بروسيا الشرقية في 22 نيسان 1864 ومات في 12 شباط 1804 من أسرة برجوازية صغيرة يرجع أصلها إلى اسكتلندا ،وقد تركت أمه أثر عميق في نفس كانت بعد وفاتها بدأ يدرس سنة 1755 بفضل رسالتيه الأولى في النار والثانية في المبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية أقترب بصفة عامة من فكر فلاسفة عصره الفرنسيين ،ويعتبر فيلسوف نقدي بالدرجة الأولى ولديه العديد من المؤلفات أهمها الدين في حدود العقل المحض ومشروع السلام وغيرها.

[*]ديكارت ولد في 31 آذار 1596 كان أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان قاطبة ولد في لاهاي كان أبوه بواكير ديكارت ينتمي إلى نبالة أهل القضاء ،كانت والدته المستشارة في محكمة رين العليا وفي عام 1604 أرسلته والدته إلى معهد لافليش لدراسة من أهم الدارسين للفلسفة لفظ ديكارت نفسه الأخيرة في 11شباط 1665 ،فقد كان نفورا متكبرا متعجرفا لكن جوهر نفسه كان مقداودا من الشجاعة ،وله العديد من المؤلفات أبرزها المقال في المنهج.

فعلى الذات أن تجعل غاية وجودها تحقيق رسالة لا تكون حدودها مظاهر العالم الخارجي البراق، بقدر ما يكون هدفها أسمى أن يكون إدراك ذاتها أعمق لأن الكنز لا يكون حين نصل إليه فقط، بل استخراجه وكنوز الذات إذا لم تعكس كسلوك وعمل ما كانت الكنوز إلا أسماء لا ندرى قيمتها،فربط الذات بالعمل يريده إقبال حتى يكتمل معنى الذات فالذات التي لا تكافح لتظهر قدرتها،هي الذات يائسة يقول إقبال في ديوانه (جناح جبريل):

(إنها الذات أن تمعنت بحر ما له حل لخوض جبان

ومحال تكون جدول أنس ومجلا لجمع أهل الهوان). [2]

ولما كانت الذات تسعى إلى بلوغ هدف معين وهو خلافة الله (God) في الأرض فعلى الإنسان أن يثبت هذه الذات ويقويها لأن وجود الإنسان متوقف على مدى قوتها وضعفها لذلك عما إقبال على توجيه نداء خاص جاء فيه:(أنزل أيها الإنسان إلى أعماق نفسك،وأدخل في قرارات شخصيتك حتى تكشف سر الحياة، أنصف نفسك يا هذا وكن لها وفيا). [3] فبإثبات الذات الإنسان ذاته يستطيع معرفة حقيقة الحياة،ذلك أنه من يجهل حقيقة نفسه فهو أجهل في حقيقة غيره،كما يقول في ذلك " عبد الحافظ عبد القدير" ضمن بحثه " أبو العلاء المعري" و"محمد إقبال":(ذلك أن الأساس لو أرادك حقيقة فلا قيمة لهذه الأشياء المادية أمامه با تصبح هذه الأفلاك واللوح والقلم تحت سيطرته). [4] ويتجلى هذا المعنى بوضوح في شعر إقبال من ديوانه (رسالة المشرق")كالآتي:

(وكم ذا في الوجود من الحبور أرى الذرات في شوق الظهور

ويصدع غصنه برعـــــوم زهر فيبتسم للحياة من السرور). [5]

---

[1]. محمد إقبال: والآن ماذا نفعل يا أمم الشرق؟، تر: محمود أحمد غازي نثرا ، وصاوي شغلان شعرا(دمشق: دار الفكر، ط 1 1988) ،ص 650.

[2]. محمد إقبال: جناح جبريل ،المصدر السابق ،ص 441.

[3]. محمد رجب اليومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين(دمشق: دار القلم، بيروت، دار الشامية، ج 1، ط 1 1995) ،ص 135.

[4]. الحافظ عبد القدير: أبو العلاء المعري ومحمد إقبال دراسة مقارنة في ضوء (رسالة الغفران) و(رسالة الخلود) (لاهور: جامعة بنجاب ،(د . ط) ،(د . ت)) ،ص 70. 71.

[5]. محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، منير التوحيد والجهاد ،ص 191. 192.

ففي هذه الرباعية يسخر "محمد إقبال "من الإنسان الذي يبحث جاهدا في أسرار الحياة والكون(Universe) وهو يجهل سر ذاته،وعلاوة على ذلك فقد تطرق إقبال إلى توضيح معنى الذات من جميع النواحي الأخلاقية منها والعملية كالآتي:

1.1 معنى الذات من الناحية الأخلاقية

يعنى إقبال بالذات في هذا الجانب هي معاملتها معاملة أخلاقية باحترامها والمحافظة عليها والثقة بها فيقول إقبال:(إنني استعملت كلمة (خوذي) الذات من الناحية الأخلاقية بمعنى الاعتماد على الذات واحترام الذات والثقة فيها بل إن تأكيد الذات ضرورة لمصالح والقدرة على الاستمساك بقضايا الحق والعدالة والواجب وغيرها،حتى في مواجهة الموت،ومثل هذا السلوك أخلاقي في نظري إذ أنه يساعد في دمج قوى الذات ويضفي عليها صلابة في مقابل قوى الانحلال و التفكك).[1]

2.1. معنى الذات من الناحية العملية

أما المعنى العملي للذات أن تكون لها الحق في الحق في الحياة لأنها تعتبر أساس وأصل الوجود ويمكن أن تحصل على الخلود،إن هي سعت إلى كسب القوة بالتالي الارتقاء لبلوغ الكمال.كما لها الحق في الحرية حتى تتمكن من أداء رسالتها في هذا الوجود وبالتالي فإن إقبال(عندما يتكلم عن الذات فأنه يعنى الذات التي تتمتع بالحياة والحرية).[2]

كما يؤكد إقبال على أنه في تجديده لهذا المعنى العملي للذات لم يخرج عن حدود الشريعة الإسلامية،بل إن الشريعة نفسها تعطي للإنسان هته القيمة التي يجب عليه أن تكون على بصيرة بها .[3]

ويمكن القول في نهاية هذا العرض هو أن إقبال لم يستعمل كلمة (خوذي)،(ذات) بمعنى الأنانية والتكبر والاعتزاز بالنفس،بل المقصد منها تقويتها وتوكيدها و تعيينها وهي بذلك

---

[1] Syed Abdul vahid .Thought and reflection of iqbal S. H ،Mohamed Achraf. Kachmiri BA.ZAR،lhORE،1960p 243.

[2]. بيبي مرزاق: مفهوم الذات عند محمد إقبال ، دراسات 2010 ،ص 134.

[3]. Syed Abdel Vahid, Thought and reflection, P 243.

تحقيق هدفها وهو الخلود الأبدي فرأى من الضروري أن تضع الذات قيما أخلاقية وعملية لتكون جديرة بالتغيير عن قيمتها وبهذا،(أن دعوة إقبال إلى تقوية الذات الإنسانية ليست دعوة إلى الأثرة والعجب والأنانية،وما يتصل بها إنما هي دعوة لإحياء حقيقة الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض لإحيائها واستعمالها،وإنشاء الحياة والتقدم فوقها). [1] فوجود الإنسان متوقف على مدى قوة وضعف هذه الذات يقول إقبال:

(بناء الذات هو كل قوة قوة الذات تجعل منه حبة خردل جيلا

وبضعفها يصبح الجبل حبة خردل فهي الحق الوحيد في هذا العـــــالم). [2]

وتكمل مصادر قوة الذات في الإيمان وعقيدة التوحيد وخلق المقاصد والآمال والعلم والعشق والفقر وكذلك الشجاعة والاستغناء وغيرها[3].

2. أبعاد الذاتية

للذاتية في فلسفة إقبال أبعاد كبيرة،إذ لا يقتصر مفهوم الذات لعلى الإنسان فقط،وإنما يشمل الوجود برمته بما في ذلك (لله)ولذلك فإن الإنسان ذات، والله ذات وكل الموجودات ذات.

1.2. الذات الإنسانية

إذا كانت الذاتية في نظر إقبال هي حياة العالم ومصدر القوة فيه،فإن هذا يعني أنها تمثل حقيقة الحياة الإنسانية باعتبارها جزاء من هذا العالم غير أنه يجدر بنا أن نتساءل: كيف نظر إقبال إلى الذات الإنسانية كجزء ضمن هذا الكل المتكامل؟ كيف تتجلى لنا هذه الذات؟ وما هو هذا الشيء الذي نسميه (أنا) أو(خوذي) ؟ ما هو هذا الشيء الظاهر في أعمال الإنسان الخفي في حقيقته؟

إن الذاتية في نظر إقبال تمثل مركز الشعور عند الإنسان لأن الحياة في حقيقتها ليست إلا تجلي لهذه الذاتية،ولما كانت الذاتية هي أساس الحياة،فإن هدف الإنسان الأخلاقي والديني هو

[1]. محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي ((د . م)، دار الصحوة للنشر، (د . ط)،(د . ت) ،ص 85.

[2]Mohammed Iqbal laile de gabriel،Yraduit par،Chagtai et Bussac Edition Albin Maichel،Paris، 1977،P63 .

[3]. حسن حنفي: المرجع السابق ،ص 88.

إثبات ذاته وتوكيدها وتقويتها وإخراج كومتها من خلق وإبداع،ولقد اختلفت أوصاف القرآن للذات الإنسانية وتنوعت،فمنها مثلا (قتور،ظلوم،جهول،ضعيف،عجول،كفور...الخ)، غير أن الإنسان رغم نقائصه إلا أنه غير ميئوس منه،حيث خص دون سواه كمل الأمانة الإلهية.[1]

وأنه خلق في أحسن تقويم،وأنه على نفسه بصير...كما توعده القرآن بقوله: ﴿بلى قادرين على نسوى ثباته﴾[2] و﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[3]، وعلى هذا فإن الذات الإنسانية بإمكانها أن تأمل بمستقبل سعيد وتحقق الخلود،إذا ما استحكمت وقويت بالطاعة وخلق المقاصد،ولذلك يقول القرآن الكريم ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾.[4] وارتقاء الذات إلى أعلى المراتب،ويقوم على هذه التركيبة التي بدورها لا تتأتي إلا بالسيطرة على العالم الطبيعي الذي لم يوضع فيه الإنسان عبثا،وإنما ليخلق الحياة وحرية الإنسان واختياره متعلقان بمدى سيطرته وتسخيره لقوى الطبيعية،فالله جعل الليل المظلم ليصنع الإنسان المصباح المنير وهذا ما يوضحه إقبال في محاورة بين الله والإنسان،حيث يقول الله بأنه خلق الأنام والزنج والفرس والحديد...الخ. فيرد الإنسان بأنه صنع السراج للإنارة،وصنع مرايا من الحجارة وأدوية من السموم...الخ [5]. فقيمة الإنسان في هذه الحياة تكمن في مدى سيطرته على بيئته وطاعته لربه،وهذا لا يتسنى إلا لمن عرف حقيقة ذاته وسعى بفرديته إلى تمثيل فردية الله في الأرض عن طريق التخلق بأخلاقه، أما التواكل والاستجداء. فيؤدي إلى ضعف واسترخاء الذات الفردية فالفردية خلقنا عليها ونلقي الله بها،وذلك في قوله تعالى: ﴿ وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴾.[6] ولهذا علينا تدعيمها وتقويتها، لأنها هي أساس بناء الأمة الإسلامية الحقة والخلود الأبدي.

ولقد نظر إقبال إلى الإنسان في علاقته بالعالم الخارجي فوجد أنه بحكم العبرية التي يشعر بها الإنسان تجاه هذا العالم (أي أن العالم شيئا آخر يتميز بوجود خارجي ومستقل عنه)،فإنه قد شك في حقيقة وجود هذا العالم،ويعتبره مجرد وهم جاء من وراء حواسه،لكن إدا تعلق الأمر بالذات

---

[1]. محمد إقبال: الأعمال الكاملة ،المصدر السابق ،ص 291.

[2]. سورة القيامة: الآية4.

[3]. سورة القيامة: الآية 36.

[4]. سورة الشمس: الآيتان 9. 10.

[5]. محمد إقبال: الأعمال الكاملة، المصدر نفسه ،ص 291.

[6]. سورة مريم: الآية 95.

فأنه لا يستطيع أن يشك في وجودها لأنها أقرب الأشياء إليه،بل أنها هي حياته التي يحييا ا من داخله،وحتى لو أمكن الشك في حقيقة الذات على نحو ما.

والذات الإنسانية عند إقبال لا تتحدد بمفهومها الفردي المستقل تماما عن الجماعي،بل تتضمنها معا.مما يجعل الإنسان مضطرا إلى إثبات ذاته وتقويتها كفردية مستقلة بذاتها،وأن يجعل ذاته في اتصال دائم مع بذات اجتماعية تتمثل في المجتمع ومن هنا كان الحديث عن الذات الإنسانية يشمل الذات الفردية والجماعية معا.

1.1.2. الذات الفردية

وهي كما سبق توضيحه تقوم على ضرورة إثبات كل فرد لذاته وتقويتها والثقة بها غير مقلد لغيره،ولا فانيا في خالقه،أنما مجاهدا وشجاعا وطائعا لربه بمعنى أن يجعل الفرد من ذاته مركزا لشعوره ويأخذ على عاتقه الارتقاء بها عدم محوها، يقول إقبال:(سر الحياة أن يعوض الإنسان في نفسه تم يبرز منها كما تعوض القطرة في البحر فتصير لؤلؤة،وأن يجمع الشرار تحت الرماد فيحير شعلة تبهر الأبصار،وأن الحياة أن تجعل نفسك حرما لنفسك وتبرأ من الطواف حول غيرك).[1]

ولهذا فإن إثبات المرء لذاته يمكن من معرفة حقيقة الحياة ويضمن الخلود بعد السمات،والإنسان حري به أن يكون أقوى ذاتا ولا ينجذب لأي شيء في الكون،لأنه لأسمى من الكون،وما خلق الكون ألا من أجله [2]. وعليه فإن من يجهل حقيقة نفسه فهو أجهل بحقيقة غيره،يقول إقبال:(أنزل الإنسان إلى أعماق نفسك،وأدخل في قرارات شخصيتك حتى تكتشف سر الحياة، أنصف يا هذا وكن لها وفيا).[3]

2.1.2. الذات الجماعية

إن توكيد الذات الفردية يقتضي وجود ذات جماعية قائمة على أسس دينية وأخلاقية عالية،ولقد أخص إقبال الذات الجماعية بحديث خاص في منظومته(رموز بخوذي) ليبين بأنه من

---

[1]. عبد الوهاب عزام: المرجع السابق ،ص 88.

[2]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص50.

[3]. محمد رجب اليومي: المرجع السابق ،ص 153.

الضروري أن تكون هناك ذات جماعية تمثل الوسط الذي تنشأ وتتربى فيه الذات الفردية،وإذا أخذنا بأن الذات الجماعية المثالية في نظر إقبال إنما هي حاصل اجتماع ذوات فردية قوية وواثقة بإمكاناتها،فإن ما يترتب عن ذلك هو أن الذات الفردية والجماعية تصبح بمثابة مرآة للأخرى، مثل الجوهر والمسك والنجوم والمجرة.ثم أن وجود الذات الجماعية (المجتمع) القوية ضروري لتثبيته ويقظة الذات الفردية وتوجيهها نحو خلق المقاصد النبيلة،يقول إقبال:

(إن الواحد في الجمع نما كان كالقطرة صارت خضر ما

روحه من قومه والبـــدن سره من قومه والعلـــــــــن). [1]

2.2. الذات الإلهية

إن مسألة الذات الإلهية تعد من القضايا البالغة الأهمية في الفكر الإسلامي على الخصوص،حيث أن كثيرا ما تعرض لها الفلاسفة والمتكلمون والمتصوفة على حد سواء،غير أن إقبال قد جعل لها مفهوما يختلف عما عرفت به سابقه خاصة منهم المتصوفة الذين في نظر إقبال صاغوا عباراتهم حول الذات الإلهية في صور فكرية أخذت عن فلسفات بالية،مما جعل تأثيرها في العقل العصري أدنى إلى العدم لأن العقل بما له من عادات التفكير الواقعي يتطلب معرفة الله معرفة حية محسوسة. [2] فمن هنا كان إقبال يطمح إلى معرفة الله معرفة قريبة من الإدراك العقلي للإنسان وإحساسه.

والأسئلة التي يمكن طرحها هي:كيف تنفعل مع الذات الإلهية ونحس بها ! وإن قلنا،بأن لله ذاتا،فما هي صفاتها؟ وإذا كان القول بالذاتية يؤدي إلى القول بالفردية،وكانت الفردية تقتضي وكان يتناه ي تحديد ونقص ،فكيف يمكن تصور الله ذاتا فردة لا متناهية في الوقت نفسه؟.

أن القول بأن الله ذاتا حسب إقبال لا يعنى أن هذه الذات واقعة تحت الحواس،وإنما يعني ضرورة وجود مفهوما قريبا من إدراكنا العقلي لها وإحساسنا بها لأن عدم وجود هذا المفهوم هو الذي جعل العقل المعاصر ينفر من الدين،لأنه لم يمكن من الاهتداء إليه لا بفعله ولا

[1]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص 81 . 82.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 105.

يحسه،والتجربة الدينية التي تقوم على العبادة الصلاة مثلا تفصح خيرا فصاح عن هذه الحقيقة الإلهية.[1]

حيث يشعر الإنسان وكأنه أمام الله وقريبا منه،وتجعل العقل الإنساني على نور منها،ولما كان هناك من لا يستطيع القيام بهذه التجربة الدينية على خير وجه فغنه لا مناص من وجود فهم صحيح وقريب من إدراك العقل الإنساني،ذلك الفهم الذي يتجلى في الطبيعة، والذي نهتدي إليه من خلال التجربة الطبيعية، باعتبار الطبيعة تجسد قدرة الله وصفة من صفاته،فمن خلال صفات الله المتجلية في الطبيعة،نضفي على الله الذاتية.

ومن هنا فإن "محمد إقبال" لا ينظر إلى الله على أنه مفارق للوجود الطبيعي كما أنه غير حال فيه،وعلى هذا فإن للذات الإلهية صفات لا هي مغايرة لصفات البشر ولا هي نفسها،كيف ذلك؟ يرى إقبال أن اتصاف الله بصفات البشر أمر لا مفر منه،وخاصة فيما يتعلق بالحياة،لأن الحياة لا يمكن فهمها إلا من داخل النفس. [2] وهذه الصفة يشترك فيها كل من الله والإنسان على حد السواء،وفي هذا نلمس الاختلاف التام بين إقبال و"ابن حزم الأندلسي" [*] الذي تحفظ في نسبة الحياة لله،وسلم بما وصف الله به نفسه من الحياة،على أن إقبال نفسه لم يخرج عن حدود ما وصف الله به نفسه من وحدانية،وما تنزه به عن غيره. [3] مثل قوله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد،لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾[4].وقوله:﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾[5]. ويزيد الأمر تحديدا عندما يصف الله نفسه بقوله: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد،لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾[6].فمن هذه الآيات وأمثالها يتبين أن الفردية أهم صفات الذات الإلهية،وبالتالي فهي أهم

---

[1]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 71.

[2]. المصدر نفسه ،ص 71.

[*]ابن حزم هو أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم، عالم وشاعر وفيلسوف عربي من الأندلس،ولد في قرطبة في 994 ومات سنة 1064، وكان في آن واحد فقيها ومنطقيا ومتكلما ومؤرخا، وقد عرف في أوروبا بكتابه (لفصل في الملل والهواء والنحل وعلى الأخص بالكتاب الذي وضعه في شبابه بعنوان (طوق الحمامة)وهو رسالة في الغزل ثمينة للغاية لدراسة الأخلاق وعلم النفس في زمانه والعديد من المؤلفات الأخرى.

[3]. حسين مجيب المصري: إقبال بين المصلحين الإسلاميين(القاهرة: مكتبة لأنجلو المصرية،(دط)، 1981) ،ص 245.

[4]. سورة البقرة: الآية 163.

[5]. سورة البقرة: الآية 155.

[6]. سورة الإخلاص.

ولأسمى صفة لكل من يسعى إلى التخلق بأخلاق الله،غير أن ما يميز فردية الله عن غيره هو أن الذات الإلهية بريئة من الكثرة مطلقا في حين أن الفر ديا ت الأخرى(الذات الإنسانية مثلا) مهددة بالتكاثر ولا يستطيع أن تعيش بدونه،لأن في عدم تكاثرها فناء لها، والكثرة نقيض وخصم لدود للفردية، يقول إقبال:(فالفردية إذن تحمل في طياتها فصيمتا نفسه،على ضوء هذه العبارة يتضح أن الفرد الكامل المتمايز عما سواه بوصفه ذاتا فريدة ولا نظيريها لا يمكن أن نتصوره متضمنا لعدوه بل يجب أن نتصوره بريئا من الميل إلى التوالي المضاد،وهذه الخاصية من خصائص الذات الكاملة هي عنصر من أهم العناصر اللازمة في مفهوم الذات الإلهية كما صورها القرآن) [1].ومن هنا يتبين لنا أن للذات الإلهية الفردية مطلقة غير أننا لا تكون أكثر يقيننا،ما لم تعرف سر هذه المطلقة خاصة إذا علمنا أن للذات الإلهية صفات متجلية في الطبيعة والعالم الطبيعي عالم تغير واستحالة.

ولتوضيح هذه المسألة يمزج إقبال بين الثقافة الإسلامية ونتائج العالم الحديث فنجد أن العلم يقر بأن الطبيعة ليست قائمة في فضاء لا متناهي،فهي محدوديتها تؤدي إلى عدم مطلقية الزمان والمكان باعتبارها إطاران متعلقان بالعالم الطبيعي وعلى هذا فإن ارتباط الحوادث في الزمان والمكان وما ينشأ عنها من علاقات حين لنا بأن الزمان والمكان من تأويلات الفكر لا غير،ويتضح لنا من خلال هذا أن الزمان والمكان مجرد إمكانية من إمكانات الذات الإلهية التي تظهر فيها قدرتها على الخلق والإبداع،يقول إقبال عن الزمان والمكان بأنهما(لا يتحققان في شكل مكاننا وزماننا الرياضيين إلا تحقيقا جزئيا،وليس وراء ذات الله لا بمعزل عن قدرته الخالقة زمان ومكان يحيطان بذاته ويجد أنه بالنسبة للذوات الأخرى). [2] ويتضح من هذا القول أن الذات الإلهية متناهية من حيث المكان لأن قدرة الله الخالقة لا تتجلى إلا في المكان، وليست متناهية تناهي الذات الإنسانية لأنه ليس وراءها زمان ولا مكان.

[1]- محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 76.

[2]. المصدر نفسه ،ص 77.

والنتيجة أن لا تناهي الذات الإلهية يمكن فيما تملك من إمكانات غير متناهية في القدرة على الخلق والإبداع وبالتالي تكون الذات الإلهية لا نهائية في الكيف والقدرة، ولكنها نهائية والكم الامتداد.[1]

3. علاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية

لقد عرفنا من قبل أهم صفات الذات الإلهية،أنها غير متضمنة لتفيضها (التوالد) كما هو الشأن بالنسبة للذات الإنسانية،كما أنه من أهم صفاتها أنها تملك إمكانيات غير متناهية في الخلق والإبداع،لكن رغم كل هذا إلا أن(تصور الذات الإلهية متصفة بصفات البشر أمر لا مفر منه) [2]. فإلى أي حد يمكن لنا أن نلمس هذا التشبه بين الذات الإلهية والذات الإنسانية؟ وما هي الصلة بينهما؟ وبعبارة أخرى،فكيف يمكن لنا أن نميز بين صفات الذات الإلهية وصفات الذات الإنسانية؟ وكيف يمكن تبرير هذا الشبه؟.

لكن يجيب إقبال عن هذه الأسئلة وينطلق من العالم الخارجي في جملته فيجد أن هذا الوجود في الحقيقة ليس إلا دليلا على وجود الذات الإلهية التي شاءت أن تجسد قدرتها الخالقة في هذا الوجود،لتكون آية وموضوع تأمل للبشر،فالعالم بمختلف جزئياته ليس إلا تجل لهذه القدرة الإلهية وهذه الجزئيات ليست في الحقيقة إلا ذواتا مهما تكن هذه الجزئيات أو الذات الضئيلة في الحجم أو الحقيقة في الوزن غير أن الروحانية في هذه الذوات تتفاوت من حيث الدرجة في سلم الوجود لتبلغ كمالها مع الإنسان،ولعل هذا ما يمكن أن نفهمه من قوله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[3].ونفهم من هذا الآية أن الله قريب من الإنسان غير أن هذا لا يعني أنه بعيد عن العالم بما فيه الإنسان،يقول إقبال:(فالذات المطلقة هي كل الحقيقة وهي ليست قائمة بحيث ترى الكون أجنبيا عنها، كما يرى الناظر شكلا منظورا)[4].

---

[1]. حسين مجيب المصري: إقبال بين المصلحين الإسلاميين ،المرجع السابق ،ص 236.

[2]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 71.

[3]. سورة الشورى: الآية 11.

[4]. محمد إقبال: المصدر نفسه ،ص 72.

لكن إذا كانت الذات الإلهية لا ترى العالم أجنبيا عنها، فكيف يمكن لنا أن نميز بين صفات الذات الإلهية وصفات الذات الإنسانية؟.

يرى إقبال أن أول خاصية للذات الإلهية هي أنها توجد وجودا ذاتيا،وهذا الوجود الذاتي هو الذي جعل منها عالمه ومحيطه بكل شيء في هذا العالم الذي يتوقف وجوده على وجودها،وعلى هذا فإن الذات الإنسانية باعتبارها جزءا من هذا العالم فإنها لا تستمد وجودها من ذاتها وعليه فهي ناقصة وتفتقر إلى الكمال. فهي ليست كالذات الإلهية التي يصفها القرآن بأنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾[1].ويقدم لنا إقبال بين الذات الإلهية والذات الإنسانية من خلال صفة العلم والإرادة والقدرة ليميز الذات الإلهية عن الذات الإنسانية.

العلم: يرى إقبال أن العلم الإنساني علن استطرادي يقوم على العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف،أي بين المدرك (الذات) والمدرك (الموضوع)،وهذا العلم الإنساني هو علم نسبي لا يتجاوز حدود إدراك الذات للموضوع بينما علم الله فهو علم مطلق يحيط بكل شيء ويقول تعالى:﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من القرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين﴾[2].فالله يعلم الماضي والحاضر والمستقبل .

غير أن القول بأن العالم تقدير سابق وأنه مستقبل مقرر ومعين تعيينا لا رجعية فيه،هو القول بسلبية مطلقية العلم الإلهي،فهذا القول في نظر إقبال ليس أكثر من الفراغ الجامد الذي انتهت به الطبيعيات قبل حلول النسبية لإنشائية مع العلم أن إقبال لا ينفي عن الذات الإلهية العلم السابق بالمستقبل بوصفه وجودا ممكننا (بالقوة لا بالفعل) بل ينفي عن المستقبل أن يكون نظاما مقررا تقريرا معنيا.[3]

[1]- سورة الشورى: الآية 11.

[2]. سورة يونس: الآية 61.

[3]. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،المصدر السابق ،ص 94.

ولعل السر في هذا هو أن القول بالتقرير السابق للمستقبل يتعارض مع فكرة الخلق المستمر التي تستوجب تدخل إمكانيات الذات الإلهية باستمرار ،وذلك قوله في قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾.[1]

القدرة والإرادة: فباعتبار مطلقية العلم الإلهي،فإن قدرة الله هي أيضا مطلقة،وتقوم هذه القدرة بكل ما أوحيته إراداته،ويتضح هذا في قوله تعالى:﴿ وأن الفضل بيذ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[2].

فمن خلال هذه الصفات الثلاث تبين لنا علاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية،والفرق بينها حيث أن الذات الإلهية رغم كونها ليست أجنبية ولا مستقلة عن الذوات الأخرى،إلا أنها متميزة عنها،وهنا يتضح لنا مدى تماشي إقبال مع المبادئ الإسلامية أولا،ومع مبادئه الفلسفية ثانيا، حيث أنه على الرغم من تصوره الله على أنه ذاتا كالذوات الأخرى،إلا انه يميزها عنها تمييز الإسلام لها في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾[3].ومنه فإنه لا مجال له للمماثلة بين الذات الإلهية والذات الإنسانية،لأن في هذه المماثلة تحديد لإمكانيات الذات الإلهية المطلقة.

ما يمكن أن نخلص إليه هو أن إقبال في بحثه عن علاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية والفرق بينهما،قد استلهم النص الديني ليجد لله صفات لا هي مختلفة عن صفات البشر ،ولا هي نفسها ليرفع عنه التجريد والتجسيد،وفي هذا نلمس بعض الشبه بين إقبال "وابن عربي" [*]الذي يقول(يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون،ويريدون أن يجعلوه بعيدا عن العالم من شدة القرب فلا تحقيق لهم...فهم على الدوام مجبرون).[4]

---

[1]. سورة فاطر :الآية 1.

[2]. سورة الحديد: الآية 29.

[3]. سورة الشورى : الآية 11.

[*] ابن عربي هو أبو بكر محمد بن علي محي الدين الملقب ب"الشيخ الكبير" ولد سنة 1165 في إسبانيا وتوفي في 1240 بدمشق، كاتب ومتصوف عربي، أصله من قبيلة طي عربية، درس في أشبيلية وقرطبة وارتحل إلى المشرق العربي، كان غزير الإنتاج في الكتب والمؤلفات.

[4]. عبد الكريم الخطيب: الله ذاتا وموضوعا(بيروت: دار المعرفة ،ط3 ،1975) ،ص 381.

المبحث الثاني: مراحل تطور الذات عند محمد إقبال

إن الذات الإنسانية في فكر "محمد إقبال" هي الذات المتصلة بذات الله لمعرفة حقيقة الوجود وهذه الحقيقة ليست منفصلة عن العالم الخارجي،بل أنها ليست منعزلة عنه ساعيا لتحقيق صفة الإنسان الكامل من أجل الوصول إلى الغاية التي يرسمها الله له وهي خلافته في الأرض،لكي تكتسب الذات الميزة التي يوضحها إقبال في ديوانه(الأسرار والرموز) بل إن الذات لا تحقق ذلك إلا بتدرج الذات وفق ثلاثة مراحل على التسلسل تتمثل في الطاعة الإلهية وضبط النفس والنيابة الإلهية.

1. الطاعة الإلهية:

توصف مرحلة الطاعة التي هي أولى مراحل تطور الذات أو تحقيق الذاتية وأنها شكل من أشكال الاستسلام وتظهر بمعنى الجبر ،والتي تجعل الإنسان مقيدا وليس حرا،لكن موفق إقبال في الحرية كما حددناه سابقا هي أن ينشد الإنسان ويسعى إلى الامتثال بطبيعته،فحقيقة الحرية هي فعل قائم على الجبر لكن الجبر هذا هو احترامي لطبيعتي.[1]

وتعنى أيضا الطاعة القانون الإلهي،وذلك الامتثال لأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه،وهي عند المتصوفة (منافسة شريفة للتقرب إلى الله إلى أن يصل العبد إلى الثبات في المرتبة،فتتلاشي مشيئة في الله،وبذلك يصبح العبد خاشعا لله،فالطاعة هي عدم الغفلة عن ذكر الله وعدم المحالفة والاعتراض لأوامره ونواهيه...).[2]

فالطاعة المرموقة بالمحبة (العشق) والإرادة تسير الصعاب وتحقق الثقال في نظر إقبال الذي يقول:

(أرجعن يا حر دستور قديم زنين رجلك بالقيد الوسيـــم

[1]. بن غزاله محمد الصديق: فلسفة التجديد الحضاري في فكر محمد إقبال(جامعة باتنة : كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية والإسلامية ، 2013/2012) ،ص160 . 161.

[2]. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية(القاهرة: مؤسسة مختار ،ط2 ،1992) ،ص 198.

شدة في شرعنا لا تشكــون وحدود المصطفى لا تعدون). [1]

فمن شأن الطاعة القائمة على المحبة والإرادة أن ترفع الوضيع وتغني الفقير وعلى هذا فهي شرط ضروري لعمل الإنسان ونضاله المستمر قصد السيطرة على الطبيعة،فلو أطاع الإنسان ربه حق طاعته لا يبتعد الناس عن تضارب المصالح الخاصة وتصادمها ولكن الإنسان بذلك دافعا كبيرا لتخطي تكاليف هاته الرحلة النضالية،ومنه ينصح المسلم بإتباع الدستور القديم في الشرع الإسلامي والالتزام به واحتمال شدائده لأنه هو سبيل السعادة والحرية،إذ يقدر ما يبدو في الطاعة من خضوع إلا أن بموجبها تكتسب الذات قوة ودعما إلهيا يمكنها من تسخير الموجودات والتحرر من قيودها[2].ومنه يقول إقبال في ديوانه (الأسرار والرموز):

(ألفة الكد شعار الجمـــــل شيمة الصبر رقار الجمل

صامت الاحفاف يمشي ماضيا زورقا في البيد يسرى هاديــا

نقشت وجه الصحاري أرجلة شارد النوم قليلا أكلـــــة

ثملا يختال تحت المحمـــــل رافضا يقدم سطر المنــزل

في المدى من راكبيه أصبر هائم السير عجبا بخطـــــر). [3]

2. ضبط النفس:

ونعني بضبط النفس أن يلحم الإنسان نوازعه ورغباته بلحام الإيمان والطاعة لأن النفس تركن طبيعتها إلى الكثير من الشهوات والهواء التي تجدي نفعا،والتي لو ترك لها العدان لعاش الإنسان الحياة كحياة الحيوان أو أضل منها،غير أنه ليس المقصود منه ضبط النفس كبت غرائزها وطبائعها الفطرية أو القضاء عليها،وإنما المقصود تهذيبها وتوجيهها الوجهة السليمة التي من شأنها أن تسهم في ارتقاء الذات درجات نحو الكمال.

---

[1]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص38

[2]. أمحمد شيلي: المرجع السابق ،ص 130.

[3]. محمد إقبال: المصدر نفسه ،ص 41.

كما تعتبر ضبط النفس وجهادها مبدأ مهم من مبادئ تقويتها ذلك حين تتخلص من شهواتها ومغريات الحياة،والخوف منها سكة بكلمة التوحيد،لأنه يجنب النفس الوقوع في الزلل والمنكرات وبالتالي تميز الحق من الباطل،وهي بهذا تبلغ أرقى مراتب السمو وإن هي ضعفت واستسلمت لأهوائه عادت إلى مرتبة الدنو وحتى تتحكم النفس في لأهوائها وشهواتها على الإنسان أن يمليا قبلة بالإيمان ويتجلى بطاعة الله عز وجل(وهذا يعنى أنه من أطاع الله وأقام شرائع هذا الدين فإنه يكتسب قوة، تمكنه من التحكم في نفسه وضبط نوازعها).[1]

والشروط الأساسية التي يضعها إقبال لضبط النفس يرى أنها متمثلة في قواعد الإسلام الخمسة وهي (التوحيد،الزكاة،الصلاة،الصيام،الحج)،فالتوحيد يحتل مكانا هاما في ضبط النفس،لأنه يصونها من الخوف والطمع وأن القواعد الخمسة تبعث في نفس الإنسان الحيوية والقوة والقدرة ويقول إقبال:

(من يمسك بعصا من (لا إله) طلسم الخوف تحطه بداه

كل من بالحق أحيا نفســــــه ليس للباطل يحنى رأسه).[2]

فالتوحيد هو سبيل النفس للابتعاد عن الباطل،وتجنب الفواحش والمنكرات ويضفي عليه قوة وغرما على إحلال الحق محل الباطل وعلى هذا يرى إقبال أنه على المسلمين إذا ما أرادوا أن يسخروا الكائنات أن يسخروا أنفسهم أولا،فيتحكموا في ميولا ته م التي جبلتهم عليها أنفسهم وأن يزكوها بالعبادة المستمرة،فعلى الإنسان أن يأخذ زمام نفسه بيد،لأن الذي لا يستطيع التحكم في نفسه يكون أكثر عرضة لأن يحكمه غير،يقول "محمد إقبال":

(كل من في نفسه لا يحكم هو في حكم سواه مرغم).[3]

ويقول أيضا إقبال:

(تلك أسباب بها تسنحكم أن يكن في القلب دين محكم

---

[1]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص 153.

[2]. المصدر نفسه ،ص 84.

[3]. المصدر نفسه ،ص 84.

أقويا مؤمن بالله القوى تحكمن في ذلك البكر الأبي).[1]

وهذا يعني أنه من أطاع الله وأقام شرائع هذا الدين فإنه يكسب قوة تمكنه من التحكم وضبط النفس نوازعها،لأن الخير طريق لضبط النفس هو الالتزام بالفرائض فالصلاة ذرة التوحيد وحج أصغر لقلب المسلم،والصوم خير ضابط للجسد والروح والحج نور لقلب المؤمن والزكاة تزكية للنفس والمال ودرس في التعاون والمساواة ومحبة الآخرين.[2]

أما ضبط النفس فهو أفضل من ضبط الآخرين لها،والخير الذاتي أفضل من الخير الخارجي،يعني التطهر من أطماع الدنيا وغرورها ومناهجها من زوج أو ولد من مال أو جاه،تمسكا بشعار التوحيد (لا إله) الذي بيدا بالنفي قبل (إلا الله) وهو الإثبات،ويعنى أيضا إيثار الخير للآخرين عن طريق الزكاة مقاومة حب المال والصلاة مقاومة الكسل،والصيام ضبط لحاجات النفس، والحج تجمع الناس ومقاومة للعزلة والانطواء،وضبط النفس شيمة الحر،وكظم النواح شيمة الليث في حين أن النواح شيمة الثعلبان.[3]

(دأب أهل الزمان شكوى الزمان ليست للحر آهة في طعان

قد أسر النجوى إلى عليــم من شيوخ القلوب والعرفان

إن كظم النواح شيمة ليث ومن النواح شيمة الثعلبان).[4]

ونستطيع القول أن مبدأ ضبط النفس عند إقبال كان قد أخذه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وعندما شاء لوا عن الجهاد الأكبر،كان الجواب أنه جهاد النفس وهي مرادفة لضبط النفس و(ضبط النفس هو استحكام النفس لذاتها وسيطرتها على قواها فلا تنظر إلا لذاتها،ولا تنظر إلى غيرها) [5]. وفي حال ابتعادها عن الأعمال

[1]. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز ،المصدر السابق ،ص 39.

[2]- خليل الرحمن عبد الرحمن: المرجع السابق ،ص 155.

[3]. حسن حنفي: المرجع السابق ،ص102 . 103.

[4]. محمد إقبال: ضرب الكليم ،المصدر السابق ،ص 96.

[5]. حسن حنفي: المرجع نفسه ،ص 104.

الخسيسة تكتسب القوة والعفة وهذا يجعلها مؤهلة لتحقيق النيابة الإلهية وهي المرحلة الأخيرة من مراحل تربية الذات عند إقبال ويقول إقبال في رسالة المشرق:

(نظري في النفس أحكمت فلم يتوجه لسواها النظـــر

فتجلى الحب في كل الــدني وأنا في شغل لا أنظر).[1]

3 . النيابة الإلهية :

فبعد أن يُلزم الإنسان نفسه الطاعة،ويضبطها على ذلك ضبطا محكما ويسخر قوى الكون لخدمته،فإنه يصير مؤهلا لنيابة الله في الأرض(الاستخلاف). إلا أن هذا لا يعني حلول الإنسان محل الله،لأن ذلك يتطلب فراغ المحل،وإنما يعني القوة التنفيذية القائمة على التزام حدود الله وتطبيق شريعته.وهذه القوةُ تضفي على صاحبها صفة (العدل والرحمة وبُعد النظر والإيمان العميق).[2] والإنسان المتصف بهذه الصفات يصبح عبدًا ربانيًا ينال الخلود وتبلغ ذاته درجة من القوة تصبح بفضلها سيدة الإنس والجن،يقول إقبال:

(رأيت الكواكب لمحات نور وذاتك (بالعشق)رهن خلود

تعالى ضميرك عن كل لون فعفت من اللون كل القيـــــود

إذا صنت الروح آلام رق ففنك عبد رهين سجـــــــود

وإن عرفت قدرها كنت حقا على الإنس والجن رب الجنود).[3]

ويتضح من هذا القول أن نيابة الله تعني الخلود والسيطرة كليًا على قوى العالم المادي،والتخلص نهائيًا من العبودية والرق لغير الله. وفي هذا سموُ للذات وتقوية لها،مما يجعلها بحق سيدة الإنس والجن لأنها بلغت كما لها وحققت خلودها.

فالنيابة الإلهية هي أعلى درجات الرقي والكمال الإنساني الذي تطمح الذات إلى تحقيقه والذات التي تبلغ هذا المستوى يُعبر إقبال عن صاحبها بتعابير مختلفة،إذ يسميه تارة بنائب

---

[1]. محمد إقبال: بيام المشرق ،تر: عبد الوهاب عزام(كراشي ،باكستان: نشر مجلس إقبال ،(د . ط) ،1951) ،ص 316.

[2]. نجيب الكيلاني: المرجع السابق ،ص 64.

[3]. المرجع نفسه ،ص 65.

الحق،وتارة بالدرويش وأخرى بالقلندر...وهو الرجل الحر الذي بلغ بذاته مستوى الحرية والخلود الأبدي .إنه ذلك الإنسان الكامل الذي أصبح بمقدوره إخراج آماله إلى واقع،وتحويل المحن إلى منح ...فهو مسلم تحرر قلبه ونفسه وضميره من كل ما سوى الله،واكتسب من الشجاعة والصمود والقوة ... ما جعل منه نموذجًا للكمال الإنساني الذي جاءت فلسفة التربية عند إقبال ساعية في طلبه.

وتعتبر هذه المرحلة هي آخر مراحل تربية الذات لأنها انتهت إلى استحكام وجودها،بأن وصلت إلى الإنسان الكامل الذي كثيرا ما تكلم عنه المتصوفة والإنسان الكامل الذي وصل إلى مرحلة النيابة الإلهية هو المسلم القوي لا الضعيف ويقول في أحد أبياته الشعرية:(المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد).[1] هذه المكانة تجعله في أرقى الوجود الروحي وبها يمكن الكلام عن المجتمع المثالي يقول "محمد عباس بن عبد الرزاق":(إقبال أيضا اعتقد أن الحياة المثالية لتقدم البشر ستدمج الصفتين الجميلتين في البشر في الشرق والغرب من خلال استكمال الذكر مع فكر العلم العقلاني للغرب يمكن أن ننتج بشرا مثاليا كما وصفه القرآن).[2] وعليه لا يكون مسايرا الرحب البشري حيث الإنسان الكامل هو الذي يدرك بأن الكون خلق من أجله .

اتجه وسار إنما خلق لوجه العالم والمجتمع المدينة.[3] فإن تمكن المؤمن من تربية شخصيته وعرف قدرها ومنزلتها لم يقع في العالم إلا ما يرضاه ويحبه ويقول إقبال شعرا:

(نائب الحق على الأرض سعيد حكمه في الكون لا يبيد

هو بالجزء وبالكل خبير وبأمر الله في الأرض أمير

يتجلي من فكر مثل الزهر غير هذا الكون أكوان أخر

هو في الناس بشير ونذير وهو جندي وراع وأميـر).[4]

[1]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص 101.

[2]MOHD , ABBASBIN , ABDUL, RAZAK , CONTR IBUTION DA IQBAL S , DYANAMIC,PERSONALITY THRORY TOISLAMIC Tnternational Islamic Univerysit 2011/p245

[3]. أبو الحسن الندوي: المرجع نفسه ،ص 94.

[4]. محمد إقبال: أسرار ورموز ،المصدر السابق ،ص 156.

وهي المرحلة التي لا بد للمسلم الوصول إليها لأنه يسخر كل العالم لصالحه ولصالح الارتباط الوثيق الذي يشده إلى ربه ويقوي بنيان المجتمع والأمة ،وعلى أساسه يمكن بناء حضارة إنسانية بكل معانيها السامية ووصول الإنسان إلى هذه المرتبة يجعله يعي خلوده كحقيقة لا يمكن أن تزول يقول إقبال:(لا يمكن أن ينقرض المسلم من العالم ،لأن وجوده رمز رسالات الأنبياء،وأن آذانه إعلان للحقيقة التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم).[1] ومرتبة الإنسان الكامل معناها التخلق بصفات الله حتى يكون الإنسان ربانيا خالدا يقول:

(الموت لا يمحو رجال الله من هذا الوجود

الحب في دمهم تلون بالثبات وبالخـــلود).[2]

ومن هنا يصبح الأصل في صناعة أية حضارة إنسانية لا يمكن أن تتم بفعل حركة تطورية مادية،وإهمال حقيقة الإنسان الروحية،هذه الحقيقة التي لا يمكن أن

تعرف وجودها الحقيقي إلا في السياق الذي يمكنها من معرفة ذاتها وبيئتها،وإدراك أن الوجود كله تجلي لحقيقة أسمى هي هدف الإنسان وهي معرفة الله يقول "محمد حسين أبو العلا":(لقد كانت رؤية إقبال للحياة الدينية المثلى أن تكون ذات أطوار منطقية منها : طور الإيمان وطور الفكر وطور الاستكشاف).

[1]. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق ،ص 92.

[2]. محمد إقبال: جناح جبريل ،المصدر السابق ،ص 488.

خلاصة الفصل

نستنتج من هذا الفصل أن الذات الإنسانية عند "محمد إقبال" أنها تلك الذات المتصلة بالذات الله لمعرفة حقيقة الموجودات وتعتبر الذات عند "محمد إقبال" هي مركزا للشعور الفردي بالإضافة إلى أن الذات ترتكز على استشعار الحياة الباطنية لدى الإنسان،أما التعبير عن الذات بكلمة (خوذي)،فلا ينبغي أن نفهم منها الأثرة والأنانية والأنوثة وكل المعاني اللأخلاقية بل ما ينبغي أن نفهمها به في فلسفة إقبال هو: الإحساس بالنفس أو تعيين الذات وتقويتها قصد بلوغ الكمال،كما نخلص أيضًا إلى أن الذاتية عند إقبال لا تقتصر على الإنسان فقط ،بل تتجاوزه إلى كل موجود بما في ذلك الموجود الأول (الله). فالله ذات والإنسان وكل موجود ذات. وأن هناك ترابط بين هذه الذوات المختلفة وأن صراع الذات الإنسانية المستمر وتضحياتها المختلفة،هي سبيلها قصد بلوغ الكمال الذي يُكسبها الحرية والخلود،ويقربها من الذات الإلهية لكن تحقيق هدف سام كهذا لا يمكن أن يتيسر للذات الإنسانية ما لم تخضع للتربية.

نقد وتقييـــم

بعد دراستنا الكاملة والتدقيقية حول فلسفة إقبال وخاصة موضوع بحثنا (نظرية الإنسان عند "محمد إقبال")،قد وجدنا أن إقبال ذو شخصية عظيمة في العالم الإسلامي،حيث أعطى قيمة كبيرة للإنسان لأنه يعتبره مهد الحضارة،وقام إقبال كذلك بإعادة تقوية الذات وبناءها من جديد ،هذا ما جذبنا في إقبال فقد حصل على منزلة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم .فقد امتدح من طرف العديد من الفلاسفة المسلمين وبالأخص الهنديين،فرأى فيه "جواهر لال نهرو" * كوكبا أضاء سماء الهند وأرضها وأن شعره سيخلد .وأعجب إقبال كذلك من طرف فلاسفة غربيين ،ولكن بالرغم من اجتهاد إقبال الكبير خاصة في موضوع الإنسان الكامل ،إلا أن فلسفته حول الإنسان لا تخلو من انتقادات ومن عيوب فحسب رأينا الشخصي رأينا أن إقبال قد بالغ كثيرا في كمال الإنسان ،فقد وضع الإنسان في منزلة عالية كأنه أصبح منزه من العيوب فلا يوجد إنسان كامل فكلنا خطاءين والكمال لله تعالى وحده لا شريك له إما عن نقد إقبال من طرف فلاسفة فلم نجد نقد واضحا بالنسبة لأفكاره فقد يوجد بالنسبة للمتصوفين المعاصرين ،فقد انتقد كذلك في مسألة الإنسان الكامل وحول امتداح النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يرون أنه لا داعي إلى التضرع له ظاهريا هذا ما وجدناه حول نقد المتصوفين المعاصرين لأن إقبال يعتبر منهم.

* جواهر لال نهرو:(1889-1964)، زعيم وطني هندي ،وأحد نباة الهند الحديثة .ورئيس وزراء الهند(1947-1964).

خاتمة

خاتمة

قد تجلت لنا من خلال هذه المرحلة المضنية في أعماق التراث الإقبالي معالم الفكر الديني والفلسفي لعلامتنا،وإن محاولة إقبال تأتي في سياق المحاولات التي أرادت أن تدافع عن مكانة الدين في العالم الحديث أمام تقدم وصعود الفلسفات الأوروبية الحديثة،التي أزاحت مكانة الدين،ففي تطرقنا لفلسفة إقبال التربوية خرجنا من تلك الدراسة بجملة من النتائج التي كشفنا عنها في ثنايا البحث تقتصر هنا على ذكر أهمها:

-عالج إقبال موضوع المعرفة الإنسانية وأقر بإمكان قيام عرفان بشري،واعتبر جميع الوسائل من حس وعقل وحدس بصيرة مؤدية إلى الحقيقة.

- وذهب إقبال إلى أن الإنسان يعد أحد رموز ثلاثية فلسفية مقدسة (الله،الكون ،الإنسان) فهو بما جعله من إمكانيات روحية قادرة على التحكم في الكون وتسخير ما فيه لفائدته إذ باستعماله لقواه العقلية والروحية الخلافة يصبح بدوره خلاق ،وذلك بتحمله مسؤولية إحلال النظام محل الفوضى, فكان بذلك الكائن الوحيد دون سائر الكائنات الأخرى الذي اختار أن يكون حرا. فتحمل بذلك صناعة التاريخ.فالإنسان عند إقبال حرُ مسؤول ،والمؤمن القوي هو الذي يعترف بالقدر ويؤمن به ولكنه لا يرتمي في أحضان السلبية،ويركن إلى الاستسلام والتواكل.

انطلاقا من الأوضاع الراهنة المتدهورة للأمة الإسلامية...ذهب "محمد إقبال" إلى محاولة إقامة فلسفة في الذات من أجل بعث هذه الأمة من جديد،تلك الفلسفة التي استطاع إقامتها بسعة إطلاعه وتعدد مصادره، فأقام بذلك فلسفة مصدرها القرآن الكريم متخذا من الآية الكريمة:(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) أساسا لهذه الفلسفة.

ـ إن مفهوم الذاتية عند "محمد إقبال" لا يخص الإنسان وحده،بل يتعداه ليشمل الوجود برمته فكل ما هو موجود ذات والله بهذا المعنى يكون ذاتًا.

ـ وفي النظر إلى العالم الطبيعي الذي لديه صلة بالذات الإنسانية لوجدنا أنه يمثل العائق الوحيد في طريق الذات الإنسانية نحو الحرية وبالتالي الخلود مما يلزم عنه ضرورة نضال هذه الذات عن طريق توليد المقاصد وتحويرها وإخراج ما في الذات في إمكانات قصد السيطرة على الطبيعة والتحرر من قيودها ،ذلك التحرر الذي بدونه لا تستطيع الذات أن تشق طريقها نحو الكمال.

ـ بلوغ الإنسان مرحلة النيابة الإلهية تكون قد حققت كمالها وبذلك يتحقق (الإنسان الكامل)الذي يُعد أسمى ما تطمح إليه التربية عند إقبال،ذلك الإنسان المؤمن القوي الذي يملأ الأرض أمنًا وعدلا وتتحقق معه كل الغايات الإنسانية وُتذلل بظهوره كل الصعاب فيغدو الإنسان حرًا طليقًا ،يُسخر قوى الطبيعة لصالحه. إنه المجدد للتاريخ والمبشر بقيام الأمة الإسلامية الحقة التي يقول عنها سبحانه وتعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون لمعروف وينهون وأولئك هم المفلحون).[283]

[283]ـ سورة آل عمران,الآية 104

فهرس الأعلام:

(أ)	بهاغوات.....ص 17
أبو الحسن الندوي.....ص أ.13	(ج)
أبو العلاء المعري.....ص 76	جلال الدين الرومي.....ص19.35
أبو حامد الغزالي.....ص45.54.55	جاويد إقبال.....ص 10
البهي محمد.....ص 25	جمال الدين الأفغاني.....ص أ
الحسن البصري.....ص 61	جواهرلال نهرو.....ص110
الحلاج ص17.18.24	(د)
السيد سليمان الندوي.....ص 7	ديكارت.....ص.75.46
السيد علي الخامنئي.....ص74	داروان.....ص 24
الفارابي.....ص34	(س)
الكندي.....ص34	سقراط.....ص 73
أرسطو..... ص 54. 74	سيد أحمد خان.....ص32
أفلاطون.....ص 45. 54 . 73	سيد حسن مير.....ص9.6
أكبر آله أبادي.....ص 28 .12	(ش)
إبراهيم مدكور.....ص65	شانكارا.....ص16
ابن عربي.....ص 34 .86.24	شوبتهاور.....ص25
ابن تيمية.....ص 62	(ص)
ابن حزم الأندلسي.....ص82	صلاح الدين الندوي.....ص74
ابن رشد.....ص46.53.47.	(ع)
ابن سينا.....ص34	عبد الحافظ عبد القدير.....ص76
(ب)	عبد الرحمن جامي.....ص19
برغسون.....ص.27.22.25.26	عبد الجبار الرفاعي.....ص14
بوذا.....ص 17	عبد الكريم الجيلي.....ص21.20.17
بهارتاري.....ص17	عبد الوهاب عزام.....ص10

(غ)	محمد عبده.....ص 42 .أ
غاندي.....ص28	محمد عباس بن عبد الرزاق....ص92
غيتا.....ص16	محمد علي جناح.....ص28
(ف)	محمد قاسم الناتوتوتي.....ص 31
فيخته.....ص 23.22	محمد نور.....ص6
(ك)	(ن)
كانت.....ص 75	نجيب الكيلاني.....ص42.43
(م)	نيتشه.....ص22.24.47
مالك بن نبي.....ص73.68.	(هـ)
محمد إقبال موجود في كل الصفحات	هيجل.....ص15
محمد حسن أبو العلا.....ص93	(و)
محمد حسن.....ص10	وليام جيمس.....ص 51. 47

فهرس المصادر والمراجع

أولا:

1. القرآن الكريم.

2. السنة النبوية الشريفة.

ثانيا: قائمة المصادر

3. محمد إقبال: الأعمال الكاملة الجزأين، إعداد: سيد عبد الماجد الغروي (دمشق: بيروت، دار ابن كثير، ج1، ط3، 2007).

4. محمد إقبال: أجاويد نامه، تر: محمد السعيد جمال الدين (القاهرة: مطابع سجل العرب، (د . ط)، 1973).

5. محمد إقبال: بيام المشرق، تر: عبد الوهاب عزام (كراشي، باكستان: نشر مجلس إقبال، (د . ط)، 1951).

6. محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، (د . ط)، 1986).

7. محمد إقبال: جناح جبريل ،تر: زهير ظاظا (دمشق: دار المحبة، ط 2 ،2004).8 . محمد إقبال: ديوان أسرار الذات ونفي الرموز، تر:عبد الوهاب عزام (القاهرة: دار المعارف، (د . ط) 1956).

9. محمد إقبال: ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام (مصر: دار المعارف، (د . ط) ،1956).

10. محمد إقبال: ديوان جناح جبريل، تر: عبد المعين الملوحي (دمشق: دار طلاس، ط ،1987،1).

11. محمد إقبال: رسالة الخلود ،تر: محمد السعيد جمال الدين (القاهرة: مطابع سجل العرب، (د .ط)، 1974).

12. محمد إقبال: ضرب الكليم ،تر: عبد الوهاب عزام (مصر: (د . د)، (د . ط) 1956).

13. محمد إقبال: هدية الحجاز ،تر: حسن مجيب المصري (مكتبة الأنجلو المصرية، (د . ط) 1973).

14. محمد إقبال: والآن ماذا نفعل يا أمم الشرق؟.تر: محمود أحمد غازي نثرا، وصاوي شغلان شعرا (دمشق: دار الفكر، ط1، 1988).

ثالثا: قائمة المصادر باللغة الفرنسية

15 Mohmmed Iqbal L'aile de gabrie yraduit par Chagtai et Bussac Edition Ablin Maichel Paris 1977.

رابعا: قائمة المراجع

16. أبو الحسن علي الحسني الندوي: روائع إقبال (دمشق: دار الفكر ،ط1 1960).

17. أحمد معوض: العلامة محمد إقبال حياته وأثاره ((د . ب):الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د .ط)، 1980).

18. الحافظ عبد القدير: أبو العلاء المعري ومحمد إقبال دراسة مقارنة في ضوء رسالة الغفران ورسالة الخلود (لاهور: جامعة بنجاب، (د . ط)، (د . س).

19. إبراهيم مدكور: الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه (مصر: دار المعارف ،ط3 1976).

20. باسمه كيال: أصل الإنسان وسر وجوده (بيروت: منشورات دار مكتبة الهلال، (د . ط) 1971).

21. حسن حنفي: محمد إقبال فيلسوف الذاتية (بيروت: دار المدار الإسلامي، ط1 2009).

22. حسن مجيب المصري: إقبال بين المصلحين الإسلاميين (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية

(د . ط)، 1981).

23. حسن مجيب المصري: إقبال والقرآن (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (د . ط)، 1981).

24. خليل عبد الرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية (مكة المكرمة: دار حراء، ط 1 1988).

25. دنيا عبد الحميد: إقبال الفيلسوف الشاعر (القاهرة: (د . ب)، (د . ط) 1959).

26. رائد جبار كاظم: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال (دمشق: دار نينوى، (د . ط)، 2009).

27 صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال (بومباي الهند: دار السلفية، (د . ط)، 1991).

28. عبد القادر محمود: الفلسفة في الإسلام (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1 1966).

29. عبد القادر محمود: مذاهب وأفكار الفلسفة والفن (الخرطوم: مطبوعات جامعة الأزهر ، ط 1 1972).

30. عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (الأزهر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ج1، (د . ط)، 1963).

31. عبد الكريم الخطيب: الله ذاتا وموضوعا (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1975).

32. عبد الوهاب عزام: إقبال حياته وفلسفته وشعره (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د . ط)،2012).

33. عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية ((د . د)، دار المعارف، (د . ط) 1967).

34. عثمان أمين: رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي (القاهرة: دار القلم، (د . ط) 1961).

35. علي حسون: فلسفة إقبال الشاعر الفيلسوف الباكستاني (دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر، ط1، 1986).

36. فؤاد محمد شبل: شانكارا أبو الفلسفة الهندية ((د . ب)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د . ط)، 1975).

37. كامل مصطفي ألشيبي: الحلاج موضوعا للآداب والفنون العربية والشرقية قديما وحديثا (بغداد: مطبعة المعارف، ط1 ، 1967).

38. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر ط4، 1987).

39. مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين (سوريا: دار الفكر، ط1 1991).

40. محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الديني ((د . ب)، دار الصحوة للنشر،(د . ط)،(د . س).

41. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (بيروت: دار الفكر، ط 6 1973).

42. محمد السعيد جمال الدين: الشعر مهمة ووظيفة عند الشاعر محمد إقبال (السعودية: مطابع جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، (د . ط)، 1405 هـ).

43. محمد بوعزيزي: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي (بيروت: دار الفكر، ط1، 1999).

44. محمد جلال شرف:الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي (بيروت: دار النهضة العربية (د . ط)، (د . ت)).

45. محمد جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب (بيروت: دار النهضة العربية، (د . ط)، 1980).

46. محمد حسن: تيارات الفلسفة الشرقية (دمشق: دار علاء الدين، (د . ط) 1999).

47. محمد حسن ألأعظمي: حقائق عن باكستان (القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، (د . ط) (د . ت)).

48. محمد رجب اليومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (دمشق: دار القلم بيروت: دار الشامية، ج1، ط1، 1995).

49. محمد عباس العقاد: علي جناح (مصر: سلسلة دار الهلال، العدد 21 1952).

50. محمد عبده: رسالة التوحيد، تصحيح وتعليق: رشيد رضا (مصر: دار المنار (د . ط) 1361هـ).

51. نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر(القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، (د . ط) 1959).

52 . نيتشه فردريك: هكذا تكلم زرادشت، تر: فليكس فارس (بيروت: دار القلم (د . ط)، (د . ت)).

53. لجراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، تر: حسن مجيب المصري ((د . ب)، مكتبة لأنجلو المصرية، (د . ط)، 1988).

54. هنري برغسون: التطور الخالق، تر: محمد محمود قاسم ((د . ب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د . ط)، 1984).

55. هنري برغسون: منبعا الأخلاق والدين، تر: سامي ألدروبي وعبد الله الدائم ((د . ب)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د . ط)، 1971).

56. يوسف محمد علي:الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (بيروت: دار الحياة، (د . ط)، (د . ت)).

خامسا: قائمة المراجع باللغة الفرنسية

57 Mohd Abbasbin ABD ul RAL AK CONTRE IBUTION DAIQBAL S DYANAMIC PERSONALITY THRORAY TOISAMIC Tntermational islamic University 2011.

سادسا: قائمة المراجع باللغة الانجليزية

58 Dr K M jamil Nietzsech and Bergson first pubished Pakistion 1959 preface.

59 KHAWAJA abdur rahin the poet of tomorrow lahor 1968.

60 Syed Abdul Zhoughtand reflection of Iqbal S H Mohammed Achraf kachmiri bazaar Lhore 1960.

سابعا: قائمة المقالات

61. بيبي مرزاق: مفهوم الذات عند محمد إقبال، دراسات 2010.

62. عبد الكريم اليافي: نداء إقبال، مقالات لعدد من المؤلفين (دمشق: دار الفكر عن مؤتمر إقبال بدمشق، ط1، 1986).

63. محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، منير التوحيد والجهاد.

ثامنا: قائمة المقالات باللغة الإنجليزية

64 Edward Macarthy Iqbal ASAPOET and philosopher http://www .allamaiqleal. com / revien.

تاسعا: قائمة الرسائل الجامعية

65. أمحمد شيلي: تربية الذات الإنسانية بين النفي والإثبات (المدرسة العليا للأساتذة: قسم الفلسفة، 2009/2008).

66. بلعسل ناصر: محمد إقبال وتصوره لفكرة الإنسان الكامل (جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008/2007).

67. بن غزاله محمد الصديق: فلسفة التجديد الحضاري في فكر محمد إقبال (جامعة باتنة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، 2013/2012).

68. شريف زيتوني: آراء محمد إقبال الفلسفية والدينية (رسالة ماجستي ر: معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1991/1990).

عاشرا: قائمة المعاجم

69. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3 2006).

70. حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية (القاهرة: مؤسسة مختار، ط2، 1992).

حادي عشرا: قائمة المجلات

71. مجلة الأمة: أحمد فؤاد عبد الرحمن (المثالية الإسلامية في شعر إقبال) مجلة عدد 33، سنة 1404هـ.

72. مجلة العربي: فوقية حسين محمود (الفيلسوف الألماني الداعية فيخته) الكويت، عدد 153 1971.

73. مجلة ثقافة الهند: سيد مظفر حسين برني (تأثير الفلسفة والفكر الهند نيي ن في شعر إقبال) تعريب: نوري بك، مجلة عدد 3، 2000.

74. مجلة دلتا نون: خالد محمد عبدو (محمد إقبال نحو سيرة صوفية)، العدد2 نوفمبر2004.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....ص أ
الفصل الأول:إقبال حياته وعصره.....ص 4
تمهيد.....ص 5
المبحث الأول:حياته إقبال ومصادر فكره.....ص 6
1ـ التعريف بشخصية محمد إقبال.....ص 6
2ـ عوامل تكوينه..... ص 11
3ـ مصادر فكره.....ص 16
المبحث الثاني:الوضع السياسي والاجتماعي للهند في عصر محمد إقبال.....ص 27
1ـ الوضع السياسي.....ص 27
2ـ الوضع الاجتماعي.....ص 29
خلاصة الفصل.....ص 31
الفصل الثاني:الإنسان في تصور محمد إقبال.....ص 32
تمهيد.....ص 33
المبحث الأول: الإنسان في نظر محمد إقبال.....ص 34
1ـ مفهوم الإنسان عند محمد إقبال.....ص 34
2ـ المراحل المساهمة في بلوغ الإنسان نحنو الكمال.....ص 40
2ـ1ـ الحرية الإنسانية.....ص 40
2ـ2ـ خلود النفس.....ص 43
المبحث الثاني: أبعاد الإنسان وغاياته.....ص 49
1ـ أبعاد الإنسان.....ص 49
1ـ1ـ البعد الروحي.....ص 49

1-2- البعد المادي.....ص 60
2- غايات الأبعاد.....ص 65
خلاصة الفصل.....ص 69
الفصل الثالث: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال.....ص70
تمهيد.....ص 71
المبحث الأول:مفهوم الذات في فكر محمد إقبال.....ص 72
1- تعريف الذات.....ص 72
2- أبعاد الذاتية.....ص 77
3- علاقة الذات الإلهية بالذات الإنسانية.....ص 83
المبحث الثاني:مراحل تطور الذات عند محمد إقبال.....ص 86
1- الطاعة الإلهية.....ص 86
2- ضبط النفس.....ص 87
3- النيابة الإلهية.....ص 90
خلاصة الفصل.....ص 93
نقد وتقييم.....ص 94
خاتمة..... ص 95
فهرس الأعلام.....ص 98
فهرس المصادر والمراجع.....ص 100
فهرس الموضوعات.....ص 107

الملخـــــــص:

لتطور الإنسان الكامل وإعادة بناء تقوية الذات الإنسانية ،فسعى محمد إقبال إلى مشروعا مركزا على الإنسان والذات،ووضع فيه أهم الدوافع وأبرز الأهداف. وللوصول إلى هذه الأهداف تم تقسيم العمل إلى ثلاثة فصول بمباحثه:

في الفصل الأول : سعينا لإبراز حياة إقبال وظروف عصره ،فكره.

أما في الفصل الثاني ك تطرقنا إلى الإنسان في تصور محمد إقبال،انطلاقا من مفهومه والمراحل المساهمة نحو كماله.

بينما الفصل الثالث: تناولنا فيه فلسفة الذات عند إقبال ،مفهومها ومراحل تطورها.

كما توجد حوصلة بعد نهاية كل فصل نقد وتقييم.

Résume

MOHAHMED iqbal .L'évolution de l'homme et la reconstruction de soi humain cherche à projeter en mettant l'accent sur l'homme et soi

 La premiére partie،nous avons cherché à mettre en évidence la vie d'Iqbal et les circonstances les objectifs que permettent de parvenir àces fins.le travail est divisé en trois parties

 La deuxiéme partie،nous avons traité l'homme dans la perception de Muhammad Iqbal en démarrant de notion des étapes de contribution les conditoin de sa vie et les source de sa pansée suivant d'une conclusion .

 La troiséme partie Nous avons abordé philosophie de soi chez Iqbal les étapes de l'évlution.